فرائض قرآنيّة على ضوء نـهج البلاغة

جمعيّة القرآن الكريم للتّوجيه والإرشاد

بيروت – لبنان

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف الخلق وأعزّ المرسلين سيّدنا ونبيّنا المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمّد وعلى آله الهداة المهديّين.

يقول الله سبحانه: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ) [1].

إذا راجعنا القرآن الكريم نجد مجموعة كبيرة من الأوامر العباديّة - الّتي يقوم بها الانسان بدافع من أمر الله تعالى - سواء الاعتقاديّة كتوحيد الله سبحانه أو البدنيّة كالصّلاة والصّيام والحجّ والجهاد وغير ذلك من الأعمال الّتي تعدّ من العبادات.. ويكون القيام بها عبادة أيضًا.

ولا بدّ أن تكون هذه العبادة خالصة لله سبحانه وحده لأنّه هو المالك الحقيقيّ للموجودات ومنها العباد فهم تحت تصرّفه ومحتاجون إليه سبحانه ومرتبطون به في جميع شؤونهم الوجوديّة.

يقول الله سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [2].

على ضوء ذلك يكون الإنسان بل وجميع الموجودات في عالم الخلق وحتّى الكفّار والمشركون عبيدًا لله تعالى واقعًا وحقيقة وهي مسلّمة وخاضعة أمام إرادة الله وقوانينه الحاكمة على الكون، يقول سبحانه: (إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً) [3].

ومن هنا نفهم ويتوضّح لنا عبوديّة الإنسان التّكوينيّة لله سبحانه.

ومن هذا الطّريق يمكننا الوصول إلى معنى العبادة التّشريعيّة ووجوب الطّاعة لله سبحانه، باعتبار أنّه مالك لنا فله الحقّ في إصدار القوانين والتّشريعات، وعلى العباد أن يظهروا لله سبحانه غاية الخضوع ونهاية التّذلّل والعبوديّة، وأن يسلّموا لأوامره ودساتيره تسليمًا مطلقًا وخالصًا.

ومن هنا، يظهر أنّ العبادة والخضوع والتّذلّل وإظهار العبوديّة لغير الله لا يجوز على الاطلاق، كان من كان ذلك الغير، وكان ما كان الشّيء المعبود، وبناءً على ذلك؛ لا يليق غير الله سبحانه للعبادة والمعبوديّة، ولا يستحقّها سواه ولهذا كان جميع الأنبياء يدعون النّاس إلى عبادة الله عزّ وجلّ الواحد وينهون عن عبادة غيره. يقول الله سبحانه في هذا المجال: (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1) أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (2)) [4].

---

[1] سورة الإسراء، الآية: 23.

[2] سورة فاطر، الآية: 15.

[3] سورة مريم، الآية: 93.

[4] سورة هود، الآيتان: 1 – 2.

إذن فالعبادة من خلال الصّلاة والحجّ وغير ذلك لو أُتِيَ بها لغير الله سبحانه كان شركًا أو حرامًا. ونحن في جمعيّة القرآن الكريم سنتكلّم عن أهمّ العبادات الّتي بُنِيَ عليها الإسلام كما ورد في الحديث، عن الباقر (عليه السّلام): «بني الإسلام على خمس: على الصّلاة والزّكاة والصّوم والحجّ والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية».

والحديث عن هذه الفرائض القرآنيّة سيكون من خلال كلام أمير المؤمنين في نهج البلاغة الّذي يقول: «وَلاَ عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ»، يقول الإمام الخامنئيّ (دام ظلّه) (: «كما أنَّ القرآن يُقرأ، كذلك يجب أن يُقرأ كتاب نهج البلاغة، لأنّه الكتاب الثّاني بعده، وهو مكمِّلٌ للقرآن الكريم»، وقد قسّمنا هذا الكتاب: فرائض قرآنيّة على ضوء نهج البلاغة، إلى خمسة فصول وهي:

الفصل الأوّل: الصّلاة.

الفصل الثّاني: الزّكاة.

الفصل الثّالث: الصّوم.

الفصل الرّابع: الحجّ.

الفصل الخامس: الولاية.

نسأل الله الهداية والدّراية ونعوذ بالله من الغباوة والغواية إنّه على كلّ شيء قدير وبالإجابة جدير.

جمعيّة القرآن الكريم للتّوجيه والإرشاد

الفصل الأوّل: الصّلاة

تمهيد

الصّلاة من أفضل العبادات

قال سبحانه: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً (78) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ [2].

وقال عزَّ وجلّ: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً ﴾ .

الصّلاة أوّل ما افترض الله سبحانه على النّاس، وأوّل ما يجب تعلّمه من الفرائض، وأوّل ما يُنظر فيه من عمل ابن آدم، وأوّل ما يُحاسَب به، إن قُبِلت قبِل ما سواها، وإن رُدّت رُدَّ ما سواها.

الصّلاة عمود الدّين وقوامه ووجهه، وموضعها من الدّين كموضع الرّأس من الجسد، ومَثَلُها مَثَل عمود الفسطاط.

الصّلاة خير موضوع، وأفضل الأعمال وأحبّها إلى الله سبحانه وأفضل ما توسّل به المتوسّلون للتّقرّب إليه، وهي معراج المؤمن.

الصّلاة تطرد الشّيطان، وتمنع من البطر والطّغيان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وتزيل الكبر وأنواع الرّذائل القلبيّة، وتُذهب السّيّئات وتطهّر النّفس.

الصّلاة مفتاح كلّ خير، ينوّر بها الوجه والقلب، وتطمئنّ بها النّفس، وتُستنزل بها الرّحمة، وتُبدّل بها السّيّئات بالحسنات، ويُستعان بها على الجهاد الأكبر والأصغر.

الصّلاة آخر وصيّة الأنبياء لا سيّما خاتمهم محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فإنّه كان من آخر وصاياه: «الصّلاة، الصّلاة وما ملكت أيْمانكم، حتّى جعل نبيّ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يُلَجلِجها في صدره، وما يفيض بها لسانه».

وإليك ما قاله أمير المؤمنين (عليه السّلام) عنها أوّل من صلّى بعد الرّسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم):

قال أمير المؤمنين (عليه السّلام): «اللَّهُمَّ إنّي أَوَّلُ مَنْ أنَابَ، وَسَمِعَ وأَجَابَ، لَمْ يَسْبِقْنِي إلاَّ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بِالصَّلاَةِ».

الشرح

«اللَّهُمَّ إني أَوَّلُ مَنْ أنَابَ» أي: أقبل إلى الله «وَسَمِعَ» دعوة النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) «وأَجَابَ» وفي (الإرشاد) قال (عليه السّلام): أخبركم بما يكون قبل أن يكون، لتكونوا منه على حذر، ولتتذروا به من اتّعظ واعتبر، كأنّي بكم تقولون إنّ عليًّا يكذب، كما قالت قريش لنبيّها وسيّدها نبيّ الرّحمة، فيا ويلكم أَفَعَلى من أكذب، أَعَلى الله، فأنا أوّل من عبده ووحّده، أم على رسول الله، فأنا أوّل من آمن به وصدّقه ونصره، الخبر [3].

«لَمْ يَسْبِقْنِي إلاَّ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بِالصَّلاَةِ» عن الصّادق (عليه السّلام): أوّل جماعة كانت، أنّ النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان يصلّي وأمير المؤمنين (عليه السّلام) معه، إذ مرّ أبو طالب به وجعفر معه قال: يا بُنيّ صِلْ جناح ابن عمّك، فلمّا أحسّ النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) تقدّمهما وانصرف أبو طالب مسرورًا وهو يقول: «إنّ عليًّا وجعفرًا ثقتي عند ملمّ الزّمان والكرب» [4].

المحافظة على الصّلاة

ومن كلام له (عليه السّلام) كان يوصي به أصحابه:

« تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلاَةِ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا، وَتَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً، أَلاَ تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ؟ قالُوا: لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ. وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ، وَتُطْلِقُهَا إِطْلاَقَ الرِّبَقِ، وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لاَ تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلاَ قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلاَ مَالٍ يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) نَصِباً بِالصَّلاَةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَيُصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ ».

اللغة

حَتَّ الْوَرَقِ: عن الشّجر أسقطه، وحتّ الشّيء عن الثّوب: حكّه وأزاله.

الرِّبَقِ: حبل فيه عرى.

بِالْحَمَّةِ: بفتح الحاء وتشديد الميم عين معدنيّة يستشفى بها.

الدَّرَنِ: محرّكة الوسخ.

نَصِباً: تعبًا.

الشّرح

«**تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلاَةِ**» أي جدّدوا العهد بها وحافظوا عليها في أوقاتها المخصوصة ولا تضيّعوها ولا تغفلوا عنها، لأنّها عماد الدّين، ومعراج المؤمنين، وقربان كلّ تقيّ ومؤمن نقيّ، وأوّل ما يحاسب به العبد إنْ قبلت قبل ما سواها وإنْ رُدَّت رُدَّ ما سواها.

وقد ذمّ الله أقوامًا توانَوْا عنها واستهانوا بأوقاتها فقال: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ قال أمير المؤمنين (عليه السّلام) في رواية الخصال: يعني أنّهم غافلون استهانوا بأوقاتها **[5]**.

«**وَحَافِظُوا عَلَيْهَا**» أي على أوقاتها ورعاية آدابها وسننها وحدودها ومراسمها وشروطها وأركانها.

فلقد قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): من ترك صلاته متعمّدًا فقد هدم دينه **[6]**.

وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): لا تضيّعوا صلاتكم فإنّ من ضيّع صلاته حشره الله تعالى مع قارون وفرعون وهامان لعنهم الله وأخزاهم وكان حقًّا على الله أن يدخله النّار مع المنافقين، فالويل لمن لم يحافظ على صلاته **[7]**.

وقال أبو جعفر (عليه السّلام): إنّ الصّلاة إذا ارتفعت في أوّل وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاء مشرقة، تقول: حفظتني حفظك الله وإذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت إلى صاحبها وهي سوداء مظلمة، تقول: ضيّعتني ضيّعك الله **[8]**.

وقد أمر الله عزَّ وجلّ بمحافظتها في الكتاب العزيز بقوله: ﴿ **حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴾.

قال أمين الإسلام الطّبرسيّ: أي داوموا على الصّلوات المكتوبات في مواقيتها بتمام أركانها، ثمّ خصّ الوسطى تفخيمًا لشأنها فقال: ﴿**وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى**﴾.

فقال الشّيخ في الخلاف: إنّها الظّهر وتبعه جماعة من علمائنا، لأنّها بين صلاتَيْن بالنّهار، ولأنّها فى وسط النّهار، ولأنّها تقع فى شدّة الحرّ والهاجرة وقت شدّة تنازع الإنسان إلى النّوم والرّاحة فكانت أشقّ، وأفضل العبادات أحْمَزُها، وأيضًا الأمر بمحافظة ما كان أشقّ أنسب وأهمّ ولأنّها أوّل صلاة فرضت ولأنّها في السّاعة الّتي يفتح فيها أبواب السّماء فلا تغلق حتّى تصلّي الظّهر ويستجاب فيها الدّعاء.

وروى الجمهور عن زيد بن ثابت قال: كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يصلّي الظّهر بالهاجرة ولم يكن يصلّي صلاة أشدّ على أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) منها فنزلت الآية **[9]**.

وقال في مجمع البيان: كونها الظّهر هو المرويّ عن الباقر والصّادق (عليهما السّلام) وروي فيه عن عليّ (عليه السّلام) أنّها الجمعة يوم الجمعة والظّهر فى ساير الأيّام **[10]**.

«**وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا**» فإنّها خير موضوع فمن شاء أقلّ ومن شاء أكثر.

وفيه عن الصّدوق بأسناده عن أبي جعفر العطّار قال: سمعت الصّادق جعفر بن محمّد (عليهما السّلام) يقول: جاء رجل إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال: يا رسول الله كثرت ذنوبي وضعف عملي، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أكثر السّجود فإنّه يحطّ الذّنوب كما تحطّ الرّيح ورق الشّجر [11].

«**وَتَقَرَّبُوا بِهَا**» إلى الله سبحانه فإنّها قربان كلّ تقيّ، بل هي أفضل ما يُتَقَرّب به إليه تعالى.

كما يدلّ عليه ما رواه في الكافي بأسناده عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله (عليه السّلام) عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى ربّهم فقال: ما أعلم شيئًا بعد المعرفة أفضل من هذه الصّلاة، ألا ترى أنّ العبد الصّالح عيسى بن مريم (عليهما السّلام) قال: ﴿ **وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً** ﴾ [12].

ولمّا أمر بتعاهدها ومحافظتها والتّقرّب بها عقّب (عليه السّلام) ذلك وعلّله بوجوه مرغّبة.

أحدها: قوله ﴿ **كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً** ﴾ اقتباس من الآية الشّريفة فى سورة النّساء.

الثّاني: قوله «**أَلاَ تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ**» والاستفهام للتّقرير بما بعد النّفي أو للتّوبيخ والتّقريع، والغرض منه تنبيه المخاطبين على أنّ ترك الصّلاة يوجب دخول النّار وسخط الجبّار ليتحرّزوا من تركها ويحافظوا عليها.

وذلك أنّ أهل النّار «**حِينَ سُئِلُوا**» أي سألهم أهل الجنّة على ما حكى الله عنهم في سورة المدّثّر بقوله: ﴿ **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ** ﴾ [13].

الثّالث: «**وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ**» أي تسقطها من الرّقاب سقوط الأوراق من الأشجار.

كما وقع التّصريح به في رواية الوسائل من مجالس ابن الشّيخ بأسناده عن سلمان الفارسيّ قال: كنّا مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فى ظلّ شجرة فأخذ غصنًا منها فنفضه فتساقط ورقه فقال: ألا تسألوني عمّا صنعت؟ فقالوا: أخبرنا يا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فقال: إنّ العبد المسلم إذا قام إلى الصّلاة تحاتّت خطاياه كما تحاتّت ورق هذه الشّجرة [14]. والتّشبيه في كلامه (عليه السّلام) من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس، وكذلك في قوله: «**وَتُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرِّبَقِ**» والكلام على القلب والمراد أنّها تطلق أعناق النّفوس أي تفكّها من أغلال الذّنوب إطلاق أعناق البهايم من الأرباق.

ولمّا ذكر إسقاطها للذّنوب أيّده بقوله «**وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ**» وأشار إلى وجه الشّبه بقوله «**فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا**» ويطهّر جسده من الأوساخ «**فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ**» شيء «**مِنَ الدَّرَنِ**» وكذلك من صلّى الصّلوات الخمس لا يبقى عليه شيء من الذّنوب.

عن الصّادق (عليه السّلام) قال: قال النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إنّما مثل الصّلاة فيكم كمثل السَّريّ . وهو النّهر . على باب أحدكم يخرج إليه في اليوم واللّيلة يغتسل منه خمس مرّات فلم يبق الدّرن على الغسل خمس مرّات، ولم يبق الذّنوب على الصّلاة خمس مرّات **[15]**.

الرّابع: ما أشار إليه بقوله «**وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا**» وقدرها «**رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**» وهو (عليه السّلام) رئيسهم وسيّدهم وأفضلهم وهم «**الَّذِينَ لاَ تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلاَ قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلاَ مَالٍ**» لعلمهم بأنّ: ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً** ﴾ .

«**يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ**» في وصفهم في سورة النّور: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** ﴾ ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ** ﴾ من عطف الخاصّ على العامّ لشمول التّجارة ساير أنواع المكاسب ﴿ **عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** ﴾.

قال ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّواْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً** ﴾ إنّ دحيّة الكلبيّ جاء يوم الجمعة من الشّام بالمسيرة فنزل عند أحجار الزّيت ثمّ ضرب بالطّبول ليؤذن الناس بقدومه فتفرق النّاس إليه إلاّ عليّ والحسن والحسين وفاطمة وسلمان وأبو ذر والمقداد وصهيب وتركوا النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قائمًا يخطب على المنبر، فقال النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لقد نظر الله يوم الجمعة إلى مسجدي فلولا هؤلاء الثّمانية الّذين جلسوا في مسجدي لاضطرمت المدينة على أهلها نارًا، وحُصِبوا بالحجارة كقوم لوط، فنزل فيهم: ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ** ﴾ **[16]**.

الخامس: إنّ في المحافظة على الصّلاة أسوة بالنّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فلقد «**كَانَ رَسُولُ اَللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) نَصِباً بِالصَّلاَةِ**» أي تعبًا بها كلّ التّعب.

حتّى روي أنّه كان يصلّي اللّيل كلّه ويعلّق صدره بحبل حتّى لا يغلبه النّوم فعاتبه الله على ذلك وأنزل عليه ﴿ **طه (1) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** ﴾ وأمره بأن يخفّف على نفسه وذكر أنّه ما أنزل عليه الوحي ليتعب كلّ هذا التّعب.

روى الطّبرسيّ في الاحتجاج عن الكاظم عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليهم السّلام) قال: لقد قام رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عشر سنين على أطراف أصابعه حتّى تورّمت قدماه واصفرّ وجهه يقوم اللّيل أجمع حتّى عوتب في ذلك فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ **طه (1) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** ﴾ بل لتسعد **[17]**.

قيل: الشّقاء شايع بمعنى التّعب ومنه أشقى من رايض المهر وسيّد القوم أشقاهم، ولعلّه عدل إليه للاشعار بأنّه أنزل إليه ليسعد.

وقوله «**بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ**» إشارة إلى أنّه لم يكن مواظبته على الصّلاة شوقًا إلى الجنّة ولا خوفًا من النّار بل قد كان نصبًا بها مع وجود تلك البشارة متحمّلاً كلّ التّعب امتثالاً «**لِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ**» وأمره له بالصّبر عليها في سورة طه حيث قال: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾ لا نسألك رزقًا نحن نرزقك والعاقبة للتّقوى.

قال في مجمع البيان: معناه وأمر يا محمّد أهل بيتك وأهل دينك بالصّلاة واصبر على فعلها.

قال فى مجمع البيان روى أبو سعيد الخدريّ قال: لمّا نزلت هذه الآية كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يأتي باب فاطمة وعليّ تسعة أشهر عند كلّ صلاة فيقول: الصّلاة رحمكم الله: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ .

«**فَكَانَ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَيُصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ**» أي يأمر نفسه بالصّبر والتّحمّل على تعبه **[18]**.

الصَّلَاةُ فِي وَقْتِهَا

من عهد له (عليه السّلام) إلى محمّد بن أبي بكر:

«صَلِّ الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا وَلاَ تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ وَلاَ تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِاشْتِغَالٍ وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاَتِكَ».

الشّرح

«صَلِّ الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا» أي المعيّن لأدائها فيه، ولم يقل في وقتها فاللام فيه تخصيص. فإنّ رجلاً سأل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عن أوقات الصّلاة، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أتاني جبرئيل فأراني وقت الصّلاة حين زالت الشّمس وكانت على حاجبه الأيمن ثمّ أراني وقت العصر فكان ظلّ كلّ شيء مثله، ثمّ صلّى المغرب حين غربت الشّمس ثمّ صلّى العشاء الآخرة حين غاب الشّفق ثمّ صلّى الصّبح فغلس بها والنّجوم مشتبكة فصلّ لهذه الأوقات، والزم السّنّة المعروفة، والطّريق الواضح. ثمّ انظر ركوعك وسجودك فإنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان أتمّ النّاس صلاةً وأخفّهم عملاً فيه **[19]**.

«وَلاَ تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ وَلاَ تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِاشْتِغَالٍ» نهاه أن يحمله الفراغ من الشّغل على أن يعجّلها قبل وقتها فإنّها تكون غير مقبولة أو أن يحمله الشّغل على تأخيرها عن وقتها فيأثم.

«وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاَتِكَ» والتّبع يكون واحدًا وجمعًا، قال تعالى ﴿ **إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً** ﴾ **[20]** ويجمع على أتباع أيضًا.

ما هو أفضل من الصَّلاة؟

وقال)عليه السّلام) من وصيّته لابنَيْه الحسن والحسين (عليهما السّلام): «فإنّي سمعت جدّكما)صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول» **:صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاةِ وَالصِّيَامِ.**«

اللغة

صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ :الصّلح بينكم وترك الخصومة وذات ها هنا زائدة مقحمة.

الشّرح

يقول «**صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاةِ وَالصِّيَامِ**» من وصاياه (عليه السّلام) العامّة: إصلاح ذات البَيْن وترك الخصومة والنّزاع والنّفاق. وصلاح ذات البَيْن أن تصلح بين قوم تفاسدوا وتباعدوا، وتجعل قلوبهم واحدة، وكلمتهم متّحدة ... وهذا العمل أفضل عند الله من جميع الصّلاة والصّيام وكلّ ما كان ويكون من ركوع وسجود، وتهليل وتكبير، لأنّ العبادة أمر خاصّ بين الإنسان وخالقه، أمّا النّزاع والخصام فأثره عامّ حيث يؤدّي حتمًا إلى المظالم والمفاسد، وضعف المجتمع وانحطاطه، وفشله وتخلّفه، وتغلّب الغزاة والطّامعين على البلاد وتحكّمهم بأرواح العباد ومقدّراتهم.

وكان (عليه السّلام) يقول: «**لئِن أصلح بين اثنَيْن أحبّ إليّ من أن أتصدّق بدينارَيْن**» ويكفي في أهميّته قولهم (عليهم السّلام): «**المصلح ليس بكاذب**» مع تسمية الكذب فسوقًا.

وكان الصّادق (عليه السّلام) يقول للمُفضّل: إذا رأيت بين اثنَيْن من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي. وعن ... سائق الحاجّ: مرّ بنا المفضّل وأنا وخَتَني نتشاجر في ميراث، فقال: تعالوا معي إلى المنزل. فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائة درهم، وقال: إنّها ليست من مالي ولكن أمرني أبو عبد الله (عليه السّلام) إذا تنازع رجلان منّا أن أصلح بينهما من ماله **[21]**.

الصّلاة عمود الدّين

وقال)عليه السّلام» :(**وَاللهَ اللهَ فِي الصَّلاَةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ**.«

الشّرح

مثل قولهم (عليه السّلام): «**الصّلاة عمود الدّين إنْ قُبِلت قُبِل ما سواها وإنْ رُدّت رُدّ ما سواها**».

قال تعالى حكاية عن عيسى (عليه السّلام): ﴿ **وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً** ﴾ **[22]**، وقال لنبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ...** ﴾ **[23]**.

وفي الخبر: أحبّ الأعمال إلى الله الصّلاة، وهي آخر وصايا الأنبياء.

أيضًا: لا تضيّعوا صلاتكم، فإنّ من ضيّع صلاته حُشِر مع قارون وهامان، ويدخل النّار مع المنافقين.

أيضًا: لا تنال شفاعتنا مستخفًّا بالصّلاة.

مواقيت الصّلاة

من كتاب له (عليه السّلام) إلى أمراء البلاد في معنى الصّلاة وفيها يحدّد مواقيتها:

«أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِنْ مَرْبِضِ الْعَنْزِ وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مِنًى وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَصَلُّوا بِهِمْ صَلاَةَ أَضْعَفِهِمْ وَلاَ تَكُونُوا فَتَّانِينَ».

اللّغة

مَرْبِضِ الْعَنْزِ: محلّ نوم الشّاة طوله يقرب من ذراعَيْن وعرضه يقرب من ذراع (يقصد حتّى يصير ظلّ كلّ شيء مثله).

وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مِنًى: وقت الإفاضة من عرفات إلى منى وهو آخر يوم عرفة يبتدء من المغرب الشّرعي.

يَتَوَارَى الشَّفَقُ: هو زوال الحمرة المغربيّة الحادثة بعد غروب الشّمس.

الْغَدَاةَ: أي الصّبح.

وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ: أي إذا كانا تحت السّماء ولم يكن غيم ولا مانع.

الشّرح

قوله (عليه السّلام): «**أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ**» من حيث الدّلوك.

«**حَتَّى تَفِيءَ**» أي: ترجع قال الجوهريّ: قال ابن السّكّيت: الظّلّ ما نسخته الشّمس والفيء ما نسخ الشّمس، وقال رؤبه: كلّ ما كانت عليه الشّمس فزالت عنه فهو فيء وظلّ وما لم يكن عليه الشّمس فهو ظلّ.

«**الشَّمْسُ**» والمراد ظلّها.

«**مِنْ**» هكذا في (المصريّة) والصّواب: (مثل) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّيّة).

«**مَرْبِضِ الْعَنْزِ**» قال الجوهريّ: (المرابض للغَنَم كالمعاطن للإبل).

«**وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ**» في باب وقت الظّهر والعصر من (الكافي)، عن يزيد بن خليفة، قلت لأبي عبد الله (عليه السّلام): ذكر عمر بن حنظلة أنّ أوّل صلاة افترضها الله على نبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الظّهر وهو قوله تعالى: ﴿ **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ...** ﴾ **[24]** فإذا زالت الشّمس لم يمنعك إلاّ سبحتك (صلاة النّافلة) ثمّ لا تزال في وقت إلى أن يصير الظّلّ قامة وهو آخر الوقت فإذا صار الظّلّ قامة دخل وقت العصر فلم تزل في وقت العصر حتّى يصير الظّلّ قامتَيْن وذلك المساء فقال: صدق **[25]**.

وعنه (عليه السّلام): إذا زالت الشّمس فقد دخل وقت الظّهر إلاّ أنّ بَيْن يدَيْها سبحة وذلك إليك إن شئت طوّلت وإن شئت قصّرت **[26]**.

وفي (الفقيه) عن الفضيل وزرارة، وبكير ومحمّد بن مسلم، وبريد العجليّ، عن الباقر والصّادق (عليهما السّلام): وقت الظّهر بعد الزّوال قدمان، ووقت العصر بعد ذلك قدمان **[27]**. وقال أبو جعفر (عليه السّلام): أنّ حايط مسجد النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان قامة وكان إذا مضى منه ذراع صلّى الظّهر وإذا مضى منه ذراعان صلّى العصر.

ثمّ قال: أتدري لِمَ جعل الذّراع والذّراعان، لمكان النّافلة لك أن تتنفّل من زوال الشّمس إلى أن يمضي ذراع فإذا بلغ فيؤك ذراعًا بدأت بالفريضة وتركت النّافلة وإذا بلغ فيؤك ذراعَيْن بدأت بالفريضة وتركت النّافلة **[28]**.

وفيه، قال أبو جعفر (عليه السّلام) لأبي بصير: ما خدعوك فلا يخدعونك من العصر صلّها والشّمس بيضاء نقيّة فإنّ النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: الموتور أهله وماله من ضيّع صلاة العصر، قيل ما الموتور أهله وماله؟ قال: لا يكون له أهل ولا مال في الجنّة، قيل: وما تضييع العصر؟ قال: يدعها حتّى تصفّر الشّمس أو تغيب **[29]**.

«**وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ**» في (الكافي) عن الصّادق (عليه السّلام): أن تقوم بحذاء القبلة وتتفقّد الحمرة الّتي ترتفع من المشرق، فإذا جازت قمّة الرّأس إلى ناحية المغرب فقد وجب الإفطار وسقط القرص **[30]**.

وعن الصّادق (عليه السّلام): إذا غابت الحمرة من المشرق فقد غابت الشّمس في شرق الأرض وغربها [31].

«**وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مِنًى**» يعني من عرفات إلى المشعر.

في (الكافي) عن الصّادق (عليه السّلام) قيل له: متى الافاضة من عرفات؟ قال: إذا ذهبت الحمرة يعني من الجانب الشّرقيّ [32].

وعنه (عليه السّلام): وقت المغرب إذا ذهبت الحمرة من المشرق وتدري كيف ذاك أنّ المشرق مطلّ على المغرب هكذا، ورفع يمينه فوق يساره فإذا غابت ها هنا ذهبت الحمرة، من ها هنا [33].

«**وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ**» في (الكافي) عن الصّادق (عليه السّلام): تجب العتمة إذا غاب الشّفق أي الحُمْرة، وعن النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): لولا أن أشقّ على أمّتي لأخّرت العشاء إلى ثلث اللّيل [34].

«**وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ**» في (الكافي) عن الصّادق (عليه السّلام): وقت الفجر حين ينشقّ الفجر إلى أن يتجلّل الصّبح السّماء، ولا ينبغي تأخير ذلك عمدًا لكنّه وقت لمن شغل أو نسي أو نام [35].

هذا، وقد ذكر تعالى مواقيت الخمس في قوله عزّ وجلّ: ﴿ **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً** ﴾ [36] وفي قوله عزّ اسمه: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ** ﴾ [37] رُوي أنّ زُرارة سأل الباقر (عليه السّلام): هل سمّى الله الصّلوات الخمس في كتابه؟ فقال: نعم، قال: ﴿ **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ** ﴾ الآية [38]. ودلوك الشّمس زوالها وغسق اللّيل انتصافه وفي ما بينهما أربع صلوات وقرآن الفجر الخامسة وقال تعالى: «**وأقم الصّلاة .... وزلفًا من اللّيل وهي صلاة العشاء الآخرة**».

وفي (العلل) عن الرّضا (عليه السّلام): إن قيل لم جُعِلت الصّلوات في هذه الأوقات؟ قيل: لأنّها مشهورة معلومة يعرفها الجاهل والعالم غروب الشّمس مشهور معرفتها فوجب عنده المغرب وسقوط الشّفق مشهور فوجوب عنده عشاء الآخرة، وطلوع الفجر مشهور فوجب عنده صلاة الصّبح، وزوال الشّمس مشهور فوجب

عنده الظّهر، ولم يكن للعصر وقت مشهور مثل الأربعة فجعل وقتها الفراغ من الظّهر إلى أن يصير الظّلّ من كلّ شيء أربعة أضعافه [39].

«**وَصَلُّوا بِهِمْ صَلاَةَ أَضْعَفِهِمْ وَلاَ تَكُونُوا فَتَّانِينَ**» وعنه (عليه السّلام): آخر ما فارقت عليه حبيبي أن قال: إذا صلّيت فصلّ صلاة أضعف من خلفك [40].

مرّ حزم بن أبي كعب الأنصاريّ بمعاذ بن جبل، وهو يؤمّ قومه في صلاة المغرب فقرأ بالبقرة فانصرف حزم فلمّا أتوا النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: معاذ أبدع حزم، قال حزم: افتتح سورة البقرة فصلّيت ثمّ انصرفت فقال النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): يا معاذ لا تكن فتّانًا فإنّ خلفك الضّعيف والكبير وذا الحاجة [41].

صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أَضْعَفِهِمْ

وقال)عليه السّلام) في وصيّته لمالك الأشتر» :**وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلاَتِكَ لِلنَّاسِ فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً، وَلاَ مُضَيِّعاً، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ، وَلَهُ الْحَاجَةُ، وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ)صلّى الله عليه وآله وسلّم) حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ» :صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً.«**

الشّرح

«**وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلاَتِكَ لِلنَّاسِ فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً**» بتطويلها، وفي الحديث: «**إنّ هذا الدّين متين، فأوْغلوا فيه برفق، ولا تكرهوا عباد الله إلى الله، فتكونوا كالرّاكب المنبتّ لا سفرًا قطع، ولا ظهرًا أبقى**» [42]. والمنبت المنقطع في سفره «**وَلاَ مُضَيِّعاً**» بالخلل والتّقصير «**فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ**»المرض أو الشّيخوخة «**وَلَهُ الْحَاجَةُ**» الّتي لا تتحمّل التّواني والتّأجيل (صلّ بهم كصلاة أضعفهم الخ)..

«**فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلاَ مُضَيِّعاً**» في الخبر: ينبغي للإمام أن تكون صلاته على صلاة أضعف من خلفه [43]. وكان معاذ يؤمّ في مسجد على عهد النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ويطيل القراءة، ومرّ به رجل فافتتح سورة طويلة، فقرأ الرّجل لنفسه وصلّى ثمّ ركب راحلته، فبلغ ذلك النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فبعث إلى معاذ، فقال له: إيّاك أن تكون فتّانًا، عليك بالشّمس وضحاها وذواتها.

وكان النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أمّ أصحابه يومًا، فسمع بكاء صبيّ، فخفّف الصّلاة [44] .

«**وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: «صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أَضْعَفِهِمْ**» في خبر السّكونيّ عنه (عليه السّلام) قال: آخر ما فارقت عليه حبيبي أن قال: يا عليّ إذا صلّيت فصلّ صلاة أضعف من خلفك **[45]** .

الصَّلاَةُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ

وقال)عليه السّلام ... » :(**وَلاَ تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلاَةَ، إِلاَّ فَاصِلاً فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ.**« ...

اللغة

إِلاَّ فَاصِلاً :أي ذاهبًا.

الشّرح

«**وَلاَ تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلاَةَ**» وقبل النّداء إذا سافر فوّت على نفسه فضلاً كثيرًا.. لا يجب التّعطيل في يوم الجمعة، بل ولا يستحبّ أيضًا إلا عند الصّلاة فقط .. وبعدها يستحبّ العمل وطلب الرّزق، وهو تمامًا كالصّلاة وسائر العبادات من حيث الأجر والثّواب، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْاْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُواْ الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (9) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُواْ فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ **[46]** .

أمر سبحانه بترك العمل عند النّداء للصّلاة والسّعي إلى ذكر الله .. وبعد أداء الصّلاة على وجهها أمر بالسّعي وتحصيل الرّزق وسؤال الله من فضله عن طريق العمل، ومعنى هذا أنّ السّعي يوم الجمعة من أجل الحياة مأمور به تمامًا كسائر الأيّام، بل هو عبادة تمامًا كالسّعي إلى الصّلاة، لأنّ الأمرَيْن معًا جاءا جنبًا إلى جنب في سياق واحد، وكلّ منهما نُسِب إلى الله: «**فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ .. وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ**». وهنا تكمن عظمة الاسلام وحقيقة الإسلام حيث أمر بالعمل للمادّة والرّوح، لأنّ الإنسان إنسان بهما لا بإحداهما: ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً** ﴾ **[47]** .

بنون ومال وعبادة وسعي للحياة وللمعبد، والكلّ من الله ولله، ولا شيء لقيصر.

«**إِلاَّ فَاصِلاً فِي سَبِيلِ اللهِ**» في الجهاد الواجب.

«**أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ**» من السّفر الاضطراريّ **[48]**.

التّهجّد في الصّلاة

وقد سمع رجلاً من الحروريّة يتهجّد ويقرأ فقال» :**نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلاَةٍ فِي شَكٍّ**.«

اللّغة

الحروريّة: فرقة من الخوارج نسبوا إلى حروراء بمدّ وقصر قرية بالنّهروان وكان أوّل اجتماعهم بها.

يتهجّد: التهجّد السّهر في العبادة.

الشّرح

«**نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلاَةٍ فِي شَكٍّ**» وفي معناه الحديث المعروف: نوم العالم أفضل من عبادة الجاهل.

هو نظير قوله (عليه السّلام): «**كم من صائم ليس له من صيامه إلاّ الظّمأ، وكم قائم ليس له من قيامه إلاّ السّهر، حبّذا نوم الأكياس وإفطارهم**» **[49]**.

الخوارج من عبّاد الأمّة وقرّائها يقومون اللّيل ويصومون النّهار ولكن لا معرفة لهم بالإمام، وبهذا النّظر يقول (عليه السّلام): لا يقين لهم فلا ينفع صلاتهم وعباداتهم **[50]**.

قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ

قال (عليه السّلام» :(**الصَّلاَةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ**.«

اللّغة

قُرْبَانُ :قرب قربانًا من الشّيء: دنا منه «المنجد.**[51]** «

الشّرح

«**الصَّلاَةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ**» في (الكافي) عن الصّادق (عليه السّلام) سئل عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى ربهم؟ فقال (عليه السّلام): ما أعلم شيئًا بعد المعرفة أفضل من هذه الصّلوات ألا ترى أنّ العبد الصّالح عيسى (عليه السّلام) قال: ﴿ **... وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً** ﴾ **[52]** .

وعنه (عليه السّلام): أحبّ الأعمال إلى الله تعالى الصّلاة وهي: آخر وصايا الأنبياء فما أحسن من الرّجل أن يغتسل أو يتوضّأ فيسبغ الوضوء ثمّ يتنحّى حيث لا يراه أنيس فيشرف عليه وهو راكع أو ساجد إنّ العبد إذا سجد فأطال الصّلاة نادى إبليس. يا ويله أطاع وعصَيْت وسجد وأبَيْت **[53]**.

وعنه (عليه السّلام): إذا قام العبد إلى الصّلاة نزلت عليه الرّحمة من أعنان السّماء إلى أعنان الأرض وحفّت به الملائكة وناداه ملك لو يعلم هذا المصلّي ما في الصّلاة ما انفتل **[54]**.

قبول العبادة

وقال)عليه السّلام» :**(كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الْجُوعُ وَالظَّمَأُ وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلاَّ السَّهَرُ وَالْعَنَاءُ حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ.**«

اللّغة

السَّهَر: سهر سهرًا، لم ينم ليلاً.

اَلْأَكْيَاسِ: الكياسة تمكين النّفس من استنباط ما هو أنفع فهو كيِّس جمعه: أكياس وكيسى «المنجد».
(والأكياس هم العقلاء العارفون، يكون نومهم وفطرهم أفضل من صوم الحمقى وقيامهم).

الشّرح

التّوجّه إلى الله تعالى مع الإخلاص روح العبادة، فمن لا يقارن عبادته بحضور القلب والإخلاص لا تؤثّر في نفسه، فصلاته لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر، ولا تقرّبه إلى حضرة الخالق الأكبر، وصومه لا يصير زكاة لبدنه ولا يكون جُنّة له من النّار، ويشترط في قبول العبادة شروط أُخَر كالولاية والأكل الحلال والاجتناب عن شرب الخمر فإذا فقدت شرائط العبادة لم يبق منها إلاّ التّعب والعناء، والسّهر والظّماء.

الخضوع والتّذلّل لله تعالى

وقال)عليه السّلام ... » :(**وَالصَّلاَةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ**.« ...

الشّرح

«**وَالصَّلاَةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ**» لأنّها خضوع وخشوع وسجود وركوع ولأنّ في الصّلاة يجعل وجهه وهو أشرف أعضائه على التّراب فيزول الكبر عنه قهرًا.

وفي (العلل) عن الرّضا (عليه السّلام): علّة الصّلاة أنّها إقرار لله بالرّبوبيّة، وخلع الأنداد وقيام بين يدَي الجبّار بالذّلّ والمسكنة والخضوع واعتراف والطّلب للإقالة من سالف الذّنوب، ووضع الوجه على الأرض كلّ يوم خمس مرّات إعظامًا لله تعالى، وأن يكون ذاكرًا غير ناس ولا بطرًا ويكون خاشعًا متذلّلاً راغبًا طالبًا للزّيادة في الدّين والدّنيا مع ما فيه من الانزجار، والمداومة على ذكر الله تعالى باللّيل والنّهار لئلاّ ينسى العبد سيّده ومدبّره وخالقه فيبطر ويطغى فيكون في ذكره لربّه وقيامه بين يدَيْه زاجرًا له عن المعاصي ومانعًا من أنواع الفساد **[55]**.

حَتَّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ

وقال)عليه السّلام« :(**مَا أَهَمَّنِي ذَنْبٌ أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ، حَتَّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، وَأَسْأَلَ اللهَ الْعَافِيَةَ**.«

الشّرح

«**مَا أَهَمَّنِي ذَنْبٌ أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ، حَتَّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ**» نفي الأهميّة عن ذنب يصلّي بعده ركعتَيْن لوجهَيْن:

1 – إمكان التّوبة عن هذا الذّنب بسبب بقاء الحياة، وغرضه (عليه السّلام) الحثّ على الاستفادة من هذه المهلة والمسارعة إلى التّوبة.

2 – إنّ توفيق صلاة ركعتَيْن والعمل بها موجب لتكفير الذّنب ومحو أثره عن القلب، ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ .

وليس هذا إغراء في فعل الذّنوب مع العزم على التّوبة، بل تحذيرًا من المعصية خوفًا من مفاجأة الموت قبل التّوبة وطلب المغفرة، وحثًّا للمذنبين على الإسراع إلى الإنابة قبل فوات الأوان «**وَأَسْأَلَ اللهَ الْعَافِيَةَ**» لأنّ ترك الذّنب أهون من طلب العفو، وقال من قال: «**ما كان أغناها عن الحالَيْن**».

العيد لمن قبل الله قيامه

وقال (عليه السّلام) في بعض الأعياد: «**إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللهُ صِيَامَهُ وَشَكَرَ قِيَامَهُ، وكُلُّ يَوْمٍ لاَ يُعْصَى اللهُ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ**».

الشّرح

في بعض الأعياد: أي الفطر بقرينة ذكر الصّيام والقيام فيه.

العيد يوم موضوع لتزاور الأحباب وتبادل الأفراح وإقامة حفلات السّرور ولبس الثّياب الفاخرة والمظاهرة بالمفاخر والمآثر الشّعبيّة، وقد جعل الله يوم الفطر عيدًا لاحتفال النّاس بالصّلاة والدّعاء ويوم الأضحى لإقامة الشّعائر في المشاعر فقال (عليه السّلام): مغزى الأعياد الإسلاميّة التّقرّب إلى الله تعالى فمن قبل صيامه وقيامه فقد فاز بالعيد وكان عيده سعيدًا، وبهذا الاعتبار كلّ يوم لا يرتكب المؤمن معصية فهو عيد له وسعيد عليه.

هذا هو مبدأ الإمام ونهجه وقياسه: «**ما خير بخير بعده النّار، وما شرّ بشرّ بعده الجنّة**» **[56]** .

إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع

وقال)عليه السّلام» :(**الْفَرْق بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ الصَّلاَة، فَمَنْ تَرَكَهَا وَادَّعَى الْإِيمَان، كَذَّبَهُ فِعْلُهُ، وَكَانَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ.**«

الشّرح

وهذا نظير قوله)صلّى الله عليه وآله وسلّم): ما بَينَ الكُفرِ والإيمانِ إلاّ تَركُ الصَّلاةِ. فالّذي يدّعي أنّه مؤمن بالله سبحانه ورسوله)صلّى الله عليه وآله وسلّم) فتَرْكه للطّاعة وللصّلاة يكذّب ما يدّعيه، قال الإمام الصّادق)عليه السّلام :(**ما أحبّ الله تعالى من عصاه**، ثمّ تمثّل**[57]** :

تعصي الإله وأنت تظهر حبّه ***** هذا محال في الفعال بديع

لو كان حبّك صادقًا لأطعته ***** إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع

الصّلاة مزيلة للذّنوب

وقال)عليه السّلام» :(**الصَّلاَةُ صَابُون الْخَطَايَا**.«

الشّرح

فكما أنَّ الصّابون مطهّر أو مادّة قاتلة للجراثيم كذلك الصّلاة والعبادة مزيلة للذّنوب والخطايا.

انتظار أوقات الصّلاة

وقال)عليه السّلام» :(**مَن لَم يأْخُذ أُهبَةَ الصَّلاةِ قَبلَ وَقتِها فَما وَقَّرَها**.«

اللّغة

الأُهبَة: العُدَّة.

الشّرح

كلامه (عليه السّلام) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ رابطوا الصّلوات أي انتظروها واحدة بعد واحدة.

وقال (عليه السّلام): اختبروا شيعتي بخصلتَيْن: المحافظة على أوقات الصّلاة، والمواساة لإخوانهم بالمال، فإن لم تكونا فاعزب **[58]** ثمّ أعزب **[59]**.

---

[1] سورة الإسراء، الآيتان: 78 – 79.

[2] سورة إبراهيم، الآية: 31.

[3] الإرشاد: 148.

[4] بحار الأنوار، ج 34، ص 208.

[5] الخصال: 10/621.

[6] بحار الأنوار: ج 79، ص 202.

[7] جامع الأخبار: 186.

[8] بحار الأنوار: ج 80، ص25.

[9] بحار الأنوار: ج 79، ص279.

[10] مجمع البيان: ج 2، ص .

[11] أمالي الصّدوق: ج 76، ح11.

[12] الكافي: باب فضل الصّلاة، ص264.

[13] سورة المدّثر، الآيات: 42 – 43.

[14] الوسائل: ج 3، ص30.

[15] الوسائل: ج 4، ص201.

[16] بحار الأنوار: ج 86، 195.

[17] بحار الأنوار: ج 68، ص26.

[18] منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج 12، ص330.

[19] الأمالي المفيد: ص267.

[20] سورة إبراهيم، الآية: 21.

[21] بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة: ج 11, ص77.

[22] سورة مريم، الآية: 31.

[23] سورة طه، الآية: 132.

[24] سورة الإسراء، الآية: 78.

[25] الكافي: ج 3، ص275، ح1، باب من حافظ على صلاته أو ضيّعها.

[26] الكافي: ج 3، ص 277، ح8.

[27] الفقيه: ج 1، ص 44.

[28] الفقيه: ج 1، ص 140، ح654.

[29] الوسائل: ج 4، ص141.

[30] الكافي: ج 4، ص 185، ح516.

[31] الوسائل: ج 4، ص161.

[32] الكافي: ج 4، ص 467، ح2.

[33] الكافي: ج 3، ص278.

[34] الكافي: ج 3، ص281، ح13.

[35] الكافي: ج 3، ص284، ح5.

[36] سورة الإسراء، الآية: 78.

[37] سورة هود، الآية: 114.

[38] الوسائل: ج 1، ص11، ح1.

[39] علل الشّرائع: ص263.

[40] نهاية الأحكام: ج 1، ص428.

[41] بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة: ج 13، ص172.

[42] الكافي: ج 2، ص70، ح1.

[43] من لا يحضره الفقيه 1: 255 ح 62، 63، 64 بتصرّف يسير.

[44] شرح ابن أبي الحديد 18: 42.

[45] شرح ابن ميثم 5: 220.

[46] سورة الجمعة، الآية: 9 – 10 .

[47] سورة الكهف، الآية: 46.

[48] بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة: ج 9، ص 48.

[49] الوسائل: ج 1، ص72، ح161.

[50] منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج 21، ص146.

[51] الكافي: ج 3، ص264، ح4804.

[52] سورة مريم، الآية: 31.

[53] الكافي: ج 3، ص264، ح4805.

[54] الكافي: ج 3، ص265، ح4807.

[55] علل الشّرائع: ص317، ح2.

[56] بحار الأنوار: ج 8، ص199.

[57] بحار الأنوار: ج 67، ص15.

[58] مستدرك: 163.

[59] أُعزب: أي مستحقٌّ لأن يقال له: أُعزب؛ أي إبْعِد، كما يقال: سُحقًا وبُعدًا، أو أقيم الأمر مقام الخير؛ أي هو عازبٌ وبعيد عن الخير؛ ويمكن أن يُقرأ على صيغة أفعل التّفضيل؛ أي هو أبْعد النّاس من الخير، والأوّل أفصح.

المقدّمة

الفصل الأوّل: الصّلاة

تمهيد

1- المحافظة على الصّلاة

2- الصّلاة في وقتها

3- ما هو أفضل من الصّلاة

9- قربان كلّ تقيّ

10- قبول العبادة

11- الخضوع والتّذلّل لله تعالى

4- الصّلاة عمود الدين
5- مواقيت الصّلاة
6- صَلِّ بهم كصلاة أضعفهم
7- الصّلاة في يوم جمعة
8- التّهجّد في الصّلاة
12- حتّى أصلّي ركعتَيْن
13- العيد لمن قبل الله قيامه
14- إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع
15- الصّلاة مزيلة للذّنوب
16- انتظار أوقات الصّلاة

الفصل الثّاني: الزّكاة

تمهيد

1- أهميّة الزّكاة كفريضة إسلاميّة
2- الإنفاق في سبيل الله سبحانه
3- الزّكاة فريضة واجبة والصّدقات
4- الغلات الأربع
5- دفع الزّكاة عن طيب نفس
6- الصّدقة دواء منجح
7- مفتاح الرّزق الصّدقة
8- سوسوا إيمانكم بالصّدقة
9 - التّجارة مع الله سبحانه
10- الزّكاة عن الأعوام السّابقة
11- الميراث والفيء والخمس
12- الزّكاة في أموال الأغنياء
13- أحمد السّبل الزّكاة
14- الموسر البخيل
15- الزّكاة زاد الأخرة

الفصل الثّالث: الصّوم

1- الصّوم من العبادات الكبرى
2- الصّوم جُنَّة
7- الصّيام زكاة البدن
8- ليس له من صيامه إلا الظّمأ

3- ابتغاء مرضاة الله
4- الصّوم يسوِّد وجه الشّيطان
5- ما هو أفضل من الصّيام
6- وقت الإفطار
9- كمال الإخلاص
10- عيد الفطر
11- الصّوم عبادة
12- الصّيام ليس من الطّعام والشّراب وحده

الفصل الرّابع: الحجّ

1- الحجّ أيضًا من العبادات الكبرى
2- حَجَّ بَيْتِهِ اَلْحَرَامِ
3- يوم النّحر وصِفة الأضحية
4- الحجّ والعمرة يغسلان الذّنب
5- اخْتبارُ اَلْأَوَّلِينَ واَلْآخِرِينَ فِي الحجِّ
6- ملازمة إقامة شعائر الحجّ
7- وقت الإفاضة
8- فَأَقِمْ لِلنَّاسِ اَلْحَجَّ
9- بيوت مكّة وبيعها وإيجارها
10- الحجّ جهاد الضّعفاء
11- تَقْوِيَةً لِلدِّينِ

الفصل الخامس: الولاية

1- الولاية فريضة من الفرائض
2- الحرص على مصلحة الاسلام والمسلمين
3- صفة أهل البيت (عليهم السّلام)
4- الإمامة منصب إلهيّ
5- وجوب اتّباعه (عليه السّلام)
6- موقع الأمير (عليه السّلام)
9- قيام الحقّ ودفع الباطل
10- عدم المنافسة على السّلطة
11- خَيْرُ اَلْعِتَرِ
12- شَجَرَةُ اَلنُّبُوَّةِ
13- أئمّة الدّين
14- الثّناء على أهل البيت (عليهم السّلام)

7- ولاية أمركم 15- عصمة أهل البيت (عليهم السّلام)

8- لا هدف للإمام (عليه السّلام) من الخلافة غير إحقاق الحقّ

فهرس المصادر

الفصل الثّاني: الزّكاة
تمهيد

أهميّة الزّكاة كفريضة إسلاميّة
الإنفاق في سبيل الله سبحانه
الزّكاة فريضة واجبة
الغلات الأربع
دفع الزّكاة عن طيب نفس
الصّدقة دواء منجح
مفتاح الرّزق الصّدقة
سوسوا إيمانكم بالصّدقة
التّجارة مع الله سبحانه
الزّكاة عن الأعوام السّابقة
الميراث والفيء والخمس والصّدقات
الزّكاة في أموال الأغنياء
أحْمَدُ السّبل: الزّكاة
الموسر البخيل
الزّكاة زاد الآخرة

الفصل الثّاني: الزّكاة

تمهيد

أهميّة الزّكاة كفريضة إسلاميّة

يقول الله سبحانه: ﴿ **وَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ** ﴾ **[1]**.

الله سبحانه يأمر الغنيّ بدفع الزّكاة لينتفع الفقير باليسير من ماله عن طيب خاطره أداءً لواجبه ورغبة بطلب المثوبة من ربّه، والفقير يأخذها من غير مهانة ولا ذلّة لأنّه أخذ الحقّ الواجب من مالكه وخالقه، وفي ذلك غرس بذور المحبّة بين الفقير والغنيّ.

فأهمية الزّكاة كفريضة إسلاميّة، سواء كانت بمعنى الزّكاة الواجبة أو بمفهومها الواسع، وينبغي أن يكون ذلك، لأنّ الزّكاة تعتبر أحد الأسباب الرّئيسيّة لتحقيق العدالة الإجتماعيّة، ومحاربة الفقر والمحروميّة، وملء الفواصل الطّبقيّة، بالإضافة إلى تقوية البنية الماليّة للحكومة الإسلاميّة، وتطهير النّفس من حبّ الدّنيا وحبّ المال، والخلاصة: إنّ الزّكاة وسيلة مُثْلى للتّقرّب إلى الله تبارك وتعالى.

وعن الإمام الصّادق (عليه السّلام) قوله: «**من منع قيراطًا من الزّكاة فلْيَمُت إن شاء يهوديًّا أو نصرانيًّا**» **[2]**.

الإنفاق في سبيل الله سبحانه

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ **مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ **[3]**.

لقد حثّ القرآن وأكّد وبالغ في الدّعوة إلى الانفاق في سبيل الله عزّ وجلّ وقد تكرّر الطّلب لذلك في أكثر من آية.

وإليك ما قاله عنها أمير المؤمنين (عليه السّلام):

الزّكاة فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ

قال الإمام عليّ (عليه السّلام):

«**وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ ... وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ الْعَلاَنِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ ...**».

الشّرح

«**وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ**» روى الكافي عن الصّادق (عليه السّلام): ما فرض الله على هذه الأمّة شيئًا أشدّ عليهم من الزّكاة، وفيها تهلك عامّتهم **[4]**.

وروي في من منع زكاته، عن أبي جعفر (عليه السّلام) قال: بينا النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في المسجد إذ قال: قم يا فلان ويا فلان حتّى عَدّ خمسة، فقال: أخرجوا من مسجدنا لا تصلّوا فيه وأنتم لا تزكّون **[5]**.

وعن أبي عبد الله (عليه السّلام): من منع قيراطًا من الزّكاة فليس بمؤمن ولا مسلم، وهو قوله تعالى: ﴿ ... **رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ** ... ﴾ **[6] [7]**.

ما دام في المجتمع غنيّ وفقير فالزّكاة ضريبة يفرضها التّعاون والضّمان الاجتماعيّ، ولكنّ البعض تحذلق وقال: إنّ فريضة الزّكاة معناها الاعتراف بالفقر، وأنّه حتْمٌ لا بدّ منه، وكان الأجدر بالإسلام أن يقتلعه من الجذور، ويوجِد مجتمعًا لا فقر فيه على الإطلاق.

الجواب أوّلاً: بأنّ تغيير الأوضاع ومحو الفقر من الأساس لا يكون بجرّة قلم، ودون أن يمرّ بالعديد من المراحل، وإذن فلا بدّ أن نخضع للواقع، ونداوي الحاضر بالحاضر حتّى تسمح الظّروف، وماذا نصنع بالمرضى والجائعين في مجتمع يسوده فساد الأوضاع؟ هل ننتظر حتّى تصلح الأمور، أو نشرّع قانونًا يضمن الحياة إلى أن تتبدّل الأحوال بالجدّ والاجتهاد؟

ثانيًا: إنّ مصرف الزّكاة لا ينحصر بالفقراء، بل يتعدّاهم إلى مشروعات الخير، وما فيه للنّاس صلاح كما هو المفهوم من كلمة «**سبيل الله**» في آية الزّكاة رقم «6» من سورة التّوبة.

«**وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ**» لأنّ حسناتها تتغلّب على سيّئات العديد من الخطايا والذّنوب قال تعالى: ﴿ **إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ... ﴾ **[8]**.

وروى في صدقة السّر (الكافي) عن النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): صدقة السّرّ تطفىء غضب الرّبّ **[9]**.

«**وَصَدَقَةُ الْعَلاَنِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ**» كمن ينهار عليه نفق فيموت خنقًا، أو تلتهب فيه النّيران فيهلك حرقًا، أو يغرق فتأكله الأسماك، ونحو ذلك.. ولا يصحّ التّأويل هنا والاجتهاد لأنّ اللّفظ لا يحمل إلا معناه.

روى في فضل الصّدقة (الكافي) عن الباقر (عليه السّلام): البرّ والصّدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان عن سبعين ميتة سوء[10].

وعن الصّادق (عليه السّلام): داووا مرضاكم بالصّدقة وادفعوا البلاء بالدّعاء، واستنزلوا الرّزق بالصّدقة فإنّها تفكّ من بين لحى سبعمائة شيطان وليس شيء أثقل على الشّيطان من الصّدقة ...[11].

وعن محمّد بن عمر بن يزيد، أخبرت الرّضا (عليه السّلام) أنّي أصبت بابنَيْن وبقي لي بنيٌّ صغير، فقال: تصدّق عنه، ثمّ قال: حين حضر قيامي مُرِ الصّبيّ فليتصدّق بيده بالقبضة والكسرة والشّيء وإن قلّ [12].

الغلات الأربع

وقال)عليه السّلام» :**(وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ... مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ.**«

الشّرح

«**وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ**» الصّلاة تواضع، والتّواضع ضدّ الكبر، وإذن فالصّلاة تصون المصلّي من هذه الرّذيلة..

ثمّ إنّ الصّلاة عهد لله على عبده أن ينتهي عن الفحشاء والمنكر. وإذا كانت الصّلاة تروّض النّفس والأعضاء بالحركات فإنّ الزّكاة تروّضها بالمال وبذله، ولا شيء أثقل عليها من ذلك.

«**مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ**» الغلات الأربع وجوبًا وباقي الحبوبات استحبابًا.

«**وَغَيْرِ ذَلِكَ**» من الأنعام الثّلاثة والنّقدَيْن.

«**إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ**» المنصوص بهم في الكتاب الكريم بقوله: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ﴾ والمسكين أسوء حالاً من الفقير.

في (العلل) عن الصّادق (عليه السّلام): أنّ الله تعالى أشرك بين الأغنياء والفقراء في الأموال فليس لهم أن يصرفوها إلى غير شركائهم [13].

وعنه (عليه السّلام): أنّ الله عزَّ وجلَّ فرض للفقراء في أموال الأغنياء ما يكتفون به [14].

ولو علم أنّ الّذي فُرِض لهم لم يكفهم لزادهم، فإنّما يؤتي الفقراء في ما أوتوا من منع من منعهم لا من الفريضة.

روي في الكافي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السّلام): قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ﴾ ، قال (عليه السّلام): الفقير الّذي لا يسأل النّاس والمسكين أجهد منه والبائس أجهدهم، فكلّ ما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من إسراره، وكلّ ما كان تطوّعًا فإسراره أفضل من إعلانه، ولو أنّ رجلاً يحمل زكاة ماله على عاتقه فقسّمها علانية كان ذلك حسنًا جميلاً [15].

دفع الزّكاة عن طيب نفس

وقال)عليه السّلام) إنّ الزّكاة يجب أن تكون عن طيب نفس» :**ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلاَةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ الْإِسْلاَمِ، فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً وَوِقَايَةً، فَلاَ يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلاَ يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ، فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا، يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُونُ الْأَجْرِ، ضَالُّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ.**«

الشّرح

«**ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلاَةِ قُرْبَاناً ...**» أي يتقرّب بها إلى الله سبحانه.. لقد حثّ الإسلام على الزّكاة تمامًا كما حثّ على الصّلاة، لأنّه يحرص كلّ الحرص على الأخوّة والتّعاون بين النّاس، وأقام هذا التّعاون على أسس قويّة وثابتة، منها أو من أهمّها العمل لصالح الأغلبيّة العظمى الّتي تتكوّن من الفقراء والمستضعفين، وتقديمه على صالح الأفراد، والمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات. ومن البداهة أنّ الزّكاة ضرْبٌ من التّعاون وأساس له، ولذا أطلق عليها في عصرنا اسم العدل الاجتماعيّ أو العدالة الاجتماعيّة. وكثير من الفقهاء يتجاوزون النّسبة المئويّة المحدّدة في الزّكاة ويوجبون في أموال الأغنياء كلّ ما يحتاجه الفقراء.

وقد روي: ما آمن بالله من بات شبعانًا وأخوه جائع.

«**لِأَهْلِ الْإِسْلاَمِ**» قال تعالى: ﴿ **فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ...** ﴾ [16].

وفي الكافي عن أبي بصير: كنّا عند أبي عبد الله (عليه السّلام) ومعنا بعض أصحاب الأموال فذكروا الزّكاة، فقال (عليه السّلام): إنّ الزّكاة ليس يحمد بها صاحبها وإنّما هو شيء ظاهر إنّما حقن بها دمه وسمّي بها مسلمًا ومن لم يؤدّها لم تقبل له صلاة، وإنّ عليكم في أموالكم غير الزّكاة [17] وعدّ حقوقًا.

وعن أبي جعفر (عليه السّلام): بينا النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في المسجد إذ قال: قم يا فلان قم يا فلان حتّى عَدّ خمسة نفر، فقال: أخرجوا من مسجدنا لا تصلّوا فيه وأنتم لا تزكّون [18].

وعن أبي عبد الله (عليه السّلام): من منع قيراطًا من الزّكاة فليمت إن شاء يهوديًّا أو نصرانيًّا، وليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله تعالى: ﴿ ... رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ... ﴾ [19] [20].

وعن أبي جعفر (عليه السّلام): إنّ الله تعالى قرن الزّكاة بالصّلاة فقال: ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ... ﴾ [21] فمن أقام الصّلاة ولم يؤت الزّكاة لم يقم الصّلاة [22].

وعن أبي عبد الله (عليه السّلام): صلاة مكتوبة خير من عشرين حجّة، وحجّة خير من بيت مملوءًا ذهبًا ينفقه في برّ حتّى ينفد، ثمّ قال: ولا أفلح من ضيّع عشرين بيتًا من ذهب بخمسة وعشرين درهمًا قيل: وما معناه؟ قال: من منع الزّكاة، وقفت صلاته حتّى يزكّي [23].

«**فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً**» هكذا في المصريّة، والصّواب: حجابًا كما في (شرح) ابن أبي الحديد وغيره.

«**وَوِقَايَةً**» في الخبر أرض القيامة نار ما خلا موضع المؤمن فإنّ صدقته تظلّه.

«**فَلاَ يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلاَ يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ**» قال ابن أبي الحديد: أمر النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بعض نسائه أن تقسّم شاة على الفقراء، فقالت: لم يبق منها غير عنقها، فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): بقي كلّها غير عنقها، قال ابن أبي الحديد: أخذ شاعر هذا المعنى فقال: [24]

يبكي على الذّاهب من ماله *** وإنّما يبقى الّذي يذهب**

قلت الأصل في كلام النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ... ﴾ [25].

«**فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا، يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُونُ الْأَجْرِ، ضَالُّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ**» قال تعالى: ﴿ **وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾ **[26]**.

الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ

وقال (عليه السّلام): «**الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ، وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ، نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجِلِهِمْ**».

الشّرح

«**الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ**» الصّدقة تمليك مال للمستحقّ مجّانًا قربة إلى الله تعالى وهي واجبة كالزّكاة المقرّر في الشّرع، ومندوبة وهي على مقدِرة المتصدّق وسخائه، وكلّ منهما دواء منجح للآلام الاجتماعيّة والفرديّة.

فإنّ من مصارف الزّكاة الواجبة أداء الدّيون وتحرير الرّقاب والاعانة للفقراء والمساكين والصّرف في الأمور العامّة من تسبيل السّبل وتأمين الصّحّة وإيجاد المستشفيات والمساجد والاعانة على الجهاد، وكلّ هذه الأمور معالجة باتت نافعة لآلام محسوسة وموجعة للجمع والفرد، ويؤثّر ذلك في رفع آلام المتصدّق وينتفع به كغيره.

كما أنّ الصّدقة المندوبة دواء منجح في معالجة ألم الجوع والحاجة للمستحقّ فتوجّه بقلبه على المتصدّق والمنفق فيدفع آلامه ويقضي حوائجه بإذن الله وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): داووا مرضاكم بالصّدقة **[27]**.

وفي زكاة الجواهر: ويكفيك فيما ورد في فضل الصّدقة الشّاملة لها من أنّ الله يربيها لصاحبها كما يربّي الرّجل فصيله فيأتي بها يوم القيامة مثل أحد، وأنّها تدفع ميتة السّوء وتفكّ من سبعمائة شيطان، ولا شيء أثقل على الشّيطان منها وصدقة اللّيل تطفىء غضب الرّبّ وتمحق الذّنب العظيم وتهوّن الحساب، وصدقة المال تنمّي المال وتزيد في العمر **[28]**.

«**وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ، نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجِلِهِمْ**» هذه الجملة تدلّ على تجسّم الأعمال ويستفاد منها أنّ كلّ عمل يتجسّم بصورة يناسبها من خير أو شرّ، وحسن أو قبح، ويراها العامل بعينه في آجله وهو حين حلول الموت الّذي يرفع الحجاب ويكشف الغطاء إلى القبر والبرزخ والقيامة.

ويؤيّدها ظاهر قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ ... ﴾ [29] ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ [30] فإنّ ظاهر الرّؤية بمفعول واحد هي الرّؤية بالبصر.

مفتاح الرّزق الصّدقة

قال (عليه السّلام» :(**اِسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ**.«

الشّرح

فرائض قرآنيّة

على ضوء نهج البلاغة

جمعيّة القرآن الكريم للتّوجيه والإرشاد

بيروت - لبنان

الطّبعة الأولى

شهر شعبان 1434 هـ. ق. / 2013م

فهرس الكتاب

الجزء (1)	الجزء (2)	الجزء (3)	الجزء (4)	الجزء (5)

الفصل الثّاني: الزّكاة
تمهيد
أهميّة الزّكاة كفريضة إسلاميّة
الإنفاق في سبيل الله سبحانه
الزّكاة فريضة واجبة
الغلات الأربع
دفع الزّكاة عن طيب نفس
الصّدقة دواء منجح
مفتاح الرّزق الصّدقة
سوسوا إيمانكم بالصّدقة
التّجارة مع الله سبحانه
الزّكاة عن الأعوام السّابقة
الميراث والفيء والخمس والصّدقات
الزّكاة في أموال الأغنياء
أَحْمَدُ السّبل: الزّكاة
الموسر البخيل
الزّكاة زاد الآخرة

الفصل الثّاني: الزّكاة

تمهيد

أهميّة الزّكاة كفريضة إسلاميّة

يقول الله سبحانه: ﴿ **وَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ** ﴾ **[1]**.

الله سبحانه يأمر الغنيّ بدفع الزّكاة لينتفع الفقير باليسير من ماله عن طيب خاطره أداءً لواجبه ورغبة بطلب المثوبة من ربّه، والفقير يأخذها من غير مهانة ولا ذلّة لأنّه أخذ الحقّ الواجب من مالكه وخالقه، وفي ذلك غرس بذور المحبّة بين الفقير والغنيّ.

فأهمية الزّكاة كفريضة إسلاميّة، سواء كانت بمعنى الزّكاة الواجبة أو بمفهومها الواسع، وينبغي أن يكون ذلك، لأنّ الزّكاة تعتبر أحد الأسباب الرّئيسيّة لتحقيق العدالة الإجتماعيّة، ومحاربة الفقر والمحروميّة، وملء الفواصل الطّبقيّة، بالإضافة إلى تقوية البنية الماليّة للحكومة الإسلاميّة، وتطهير النّفس من حبّ الدّنيا وحبّ المال، والخلاصة: إنّ الزّكاة وسيلة مُثْلى للتّقرّب إلى الله تبارك وتعالى.

وعن الإمام الصّادق (عليه السّلام) قوله: «**من منع قيراطًا من الزّكاة فلْيَمُت إن شاء يهوديًّا أو نصرانيًّا**» **[2]**.

الإنفاق في سبيل الله سبحانه

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ **مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ **[3]**.

لقد حثّ القرآن وأكّد وبالغ في الدّعوة إلى الانفاق في سبيل الله عزّ وجلّ وقد تكرّر الطّلب لذلك في أكثر من آية.

وإليك ما قاله عنها أمير المؤمنين (عليه السّلام):

الزّكاة فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ

قال الإمام عليّ (عليه السّلام):

«وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ ... وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ الْعَلاَنِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ ...».

الشّرح

«وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ» روى الكافي عن الصّادق (عليه السّلام): ما فرض الله على

هذه الأمّة شيئًا أشدّ عليهم من الزّكاة، وفيها تهلك عامّتهم [4].

وروي في من منع زكاته، عن أبي جعفر (عليه السّلام) قال: بينا النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في المسجد إذ قال: قم يا فلان ويا فلان حتّى عَدّ خمسة، فقال: أخرجوا من مسجدنا لا تصلّوا فيه وأنتم لا تزكّون [5].

وعن أبي عبد الله (عليه السّلام): من منع قيراطًا من الزّكاة فليس بمؤمن ولا مسلم، وهو قوله تعالى: ﴿ ... **رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ** ... ﴾ [6] [7].

ما دام في المجتمع غنيّ وفقير فالزّكاة ضريبة يفرضها التّعاون والضّمان الاجتماعيّ، ولكنّ البعض تحذلق وقال: إنّ فريضة الزّكاة معناها الاعتراف بالفقر، وأنّه حتْمٌ لا بدّ منه، وكان الأجدر بالإسلام أن يقتلعه من الجذور، ويوجِد مجتمعًا لا فقر فيه على الإطلاق.

الجواب أوّلاً: بأنّ تغيير الأوضاع ومحو الفقر من الأساس لا يكون بجرّة قلم، ودون أن يمرّ بالعديد من المراحل، وإذن فلا بدّ أن نخضع للواقع، ونداوي الحاضر بالحاضر حتّى تسمح الظّروف، وماذا نصنع بالمرضى والجائعين في مجتمع يسوده فساد الأوضاع؟ هل ننتظر حتّى تصلح الأمور، أو نشرّع قانونًا يضمن الحياة إلى أن تتبدّل الأحوال بالجدّ والاجتهاد؟

ثانيًا: إنّ مصرف الزّكاة لا ينحصر بالفقراء، بل يتعدّاهم إلى مشروعات الخير، وما فيه للنّاس صلاح كما هو المفهوم من كلمة «**سبيل الله**» في آية الزّكاة رقم «6» من سورة التّوبة.

«**وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ**» لأنّ حسناتها تتغلّب على سيّئات العديد من الخطايا والذّنوب قال تعالى: ﴿ **إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ... ﴾ [8].

وروى في صدقة السّر (الكافي) عن النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): صدقة السّرّ تطفىء غضب الرّبّ [9].

«**وَصَدَقَةُ الْعَلاَنِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ**» كمن ينهار عليه نفق فيموت خنقًا، أو تلتهب فيه

النّيران فيهلك حرقًا، أو يغرق فتأكله الأسماك، ونحو ذلك.. ولا يصحّ التّأويل هنا والاجتهاد لأنّ اللّفظ لا يحمل إلا معناه.

روى في فضل الصّدقة (الكافي) عن الباقر (عليه السّلام): البرّ والصّدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان عن سبعين ميتة سوء**[10]**.

وعن الصّادق (عليه السّلام): داووا مرضاكم بالصّدقة وادفعوا البلاء بالدّعاء، واستنزلوا الرّزق بالصّدقة فإنّها تفكّ من بين لحى سبعمائة شيطان وليس شيء أثقل على الشّيطان من الصّدقة ...**[11]**.

وعن محمّد بن عمر بن يزيد، أخبرت الرّضا (عليه السّلام) أنّي أصبت بابنَيْن وبقي لي بنيٌّ صغير، فقال: تصدّق عنه، ثمّ قال: حين حضر قيامي مُرِ الصّبيّ فليتصدّق بيده بالقبضة والكسرة والشّيء وإن قلّ **[12]**.

الغلات الأربع

وقال (عليه السّلام): «**وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ... مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ**».

الشّرح

«**وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ**» الصّلاة تواضع، والتّواضع ضدّ الكبر، وإذن فالصّلاة تصون المصلّي من هذه الرّذيلة..

ثمّ إنّ الصّلاة عهد لله على عبده أن ينتهي عن الفحشاء والمنكر. وإذا كانت الصّلاة تروّض النّفس والأعضاء بالحركات فإنّ الزّكاة تروّضها بالمال وبذله، ولا شيء أثقل عليها من ذلك.

«**مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ**» الغلات الأربع وجوبًا وباقي الحبوبات استحبابًا.

«**وَغَيْرِ ذَلِكَ**» من الأنعام الثّلاثة والنّقدَيْن.

«**إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ**» المنصوص بهم في الكتاب الكريم بقوله: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ﴾ والمسكين أسوء حالاً من الفقير.

في (العلل) عن الصّادق (عليه السّلام): أنّ الله تعالى أشرك بين الأغنياء والفقراء في الأموال فليس لهم أن يصرفوها إلى غير شركائهم **[13]**.

وعنه (عليه السّلام): أنّ الله عزَّ وجلَّ فرض للفقراء في أموال الأغنياء ما يكتفون به **[14]**.

ولو علم أنّ الّذي فُرِض لهم لم يكفهم لزادهم، فإنّما يؤتي الفقراء في ما أوتوا من منع من منعهم لا من الفريضة.

روي في الكافي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السّلام): قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ﴾ ، قال (عليه السّلام): الفقير الّذي لا يسأل النّاس والمسكين أجهد منه والبائس أجهدهم، فكلّ ما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من إسراره، وكلّ ما كان تطوّعًا فإسراره أفضل من إعلانه، ولو أنّ رجلاً يحمل زكاة ماله على عاتقه فقسّمها علانية كان ذلك حسنًا جميلاً **[15]**.

دفع الزّكاة عن طيب نفس

وقال (عليه السّلام) إنّ الزّكاة يجب أن تكون عن طيب نفس: «**ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلاَةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ الْإِسْلاَمِ، فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً وَوِقَايَةً، فَلاَ يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلاَ يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ، فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا، يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُونُ الْأَجْرِ، ضَالُّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ**».

الشّرح

«**ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلاَةِ قُرْبَاناً ...**» أي يتقرّب بها إلى الله سبحانه.. لقد حثّ الإسلام على الزّكاة تمامًا كما حثّ على الصّلاة، لأنّه يحرص كلّ الحرص على الأخوّة والتّعاون بين النّاس، وأقام هذا التّعاون على أسس قويّة وثابتة، منها أو من أهمّها العمل لصالح الأغلبيّة العظمى الّتي تتكوّن من الفقراء والمستضعفين، وتقديمه على صالح الأفراد، والمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات. ومن البداهة أنّ الزّكاة ضرْبٌ من التّعاون وأساس له، ولذا أطلق عليها في عصرنا اسم العدل الاجتماعيّ أو العدالة الاجتماعيّة. وكثير من الفقهاء يتجاوزون النّسبة المئويّة المحدّدة في الزّكاة ويوجبون في أموال الأغنياء كلّ ما يحتاجه الفقراء.

وقد روي: ما آمن بالله من بات شبعانًا وأخوه جائع.

«**لِأَهْلِ الْإِسْلاَمِ**» قال تعالى: ﴿ **فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلَاةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ...** ﴾ **[16]**.

وفي الكافي عن أبي بصير: كنّا عند أبي عبد الله (عليه السّلام) ومعنا بعض أصحاب الأموال

فذكروا الزّكاة، فقال (عليه السّلام): إنّ الزّكاة ليس يحمد بها صاحبها وإنّما هو شيء ظاهر إنّما حقن بها دمه وسمّي بها مسلمًا ومن لم يؤدّها لم تقبل له صلاة، وإنّ عليكم في أموالكم غير الزّكاة [17] وعدّ حقوقًا.

وعن أبي جعفر (عليه السّلام): بينا النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في المسجد إذ قال: قم يا فلان قم يا فلان حتّى عَدّ خمسة نفر، فقال: أخرجوا من مسجدنا لا تصلّوا فيه وأنتم لا تزكّون [18].

وعن أبي عبد الله (عليه السّلام): من منع قيراطًا من الزّكاة فليمت إن شاء يهوديًّا أو نصرانيًّا، وليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله تعالى: ﴿ ... رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ... ﴾ [19] [20].

وعن أبي جعفر (عليه السّلام): إنّ الله تعالى قرن الزّكاة بالصّلاة فقال: ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ... ﴾ [21] فمن أقام الصّلاة ولم يؤت الزّكاة لم يقم الصّلاة [22].

وعن أبي عبد الله (عليه السّلام): صلاة مكتوبة خير من عشرين حجّة، وحجّة خير من بيت مملوءًا ذهبًا ينفقه في برّ حتّى ينفد، ثمّ قال: ولا أفلح من ضيّع عشرين بيتًا من ذهب بخمسة وعشرين درهمًا قيل: وما معناه؟ قال: من منع الزّكاة، وقفت صلاته حتّى يزكّي [23].

«**فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً**» هكذا في المصريّة، والصّواب: حجابًا كما في (شرح) ابن أبي الحديد وغيره.

«**وَوِقَايَةً**» في الخبر أرض القيامة نار ما خلا موضع المؤمن فإنّ صدقته تظلّه.

«**فَلاَ يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلاَ يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ**» قال ابن أبي الحديد: أمر النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بعض نسائه أن تقسّم شاة على الفقراء، فقالت: لم يبق منها غير عنقها، فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): بقي كلّها غير عنقها، قال ابن أبي الحديد: أخذ شاعر هذا المعنى فقال: [24]

يبكي على الذّاهب من ماله	وإنّما يبقى الّذي يذهب

قلت الأصل في كلام النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ... ﴾ [25].

«فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا، يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُونُ الْأَجْرِ، ضَالُّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ» قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [26].

الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ

وقال (عليه السّلام): «**الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ، وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ، نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجِلِهِمْ**».

الشّرح

«**الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ**» الصّدقة تمليك مال للمستحقّ مجّانًا قربة إلى الله تعالى وهي واجبة كالزّكاة

المقرّر في الشّرع، ومندوبة وهي على مقدِرة المتصدّق وسخائه، وكلّ منهما دواء منجح للآلام الاجتماعيّة والفرديّة.

فإنّ من مصارف الزّكاة الواجبة أداء الدّيون وتحرير الرّقاب والاعانة للفقراء والمساكين والصّرف في الأمور العامّة من تسبيل السّبل وتأمين الصّحّة وإيجاد المستشفيات والمساجد والاعانة على الجهاد، وكلّ هذه الأمور معالجة باتت نافعة لآلام محسوسة وموجعة للجمع والفرد، ويؤثّر ذلك في رفع آلام المتصدّق وينتفع به كغيره.

كما أنّ الصّدقة المندوبة دواء منجح في معالجة ألم الجوع والحاجة للمستحقّ فتوجّه بقلبه على المتصدّق والمنفق فيدفع آلامه ويقضي حوائجه بإذن الله وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): داووا مرضاكم بالصّدقة [27].

وفي زكاة الجواهر: ويكفيك فيما ورد في فضل الصّدقة الشّاملة لها من أنّ الله يربيها لصاحبها كما يربّي الرّجل فصيله فيأتي بها يوم القيامة مثل أحد، وأنّها تدفع ميتة السّوء وتفكّ من سبعمائة شيطان، ولا شيء أثقل على الشّيطان منها وصدقة اللّيل تطفىء غضب الرّبّ وتمحق الذّنب العظيم وتهوّن الحساب، وصدقة المال تنمّي المال وتزيد في العمر [28].

«**وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ، نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجِلِهِمْ**» هذه الجملة تدلّ على تجسّم الأعمال ويستفاد منها أنّ كلّ عمل يتجسّم بصورة يناسبها من خير أو شرّ، وحسن أو قبح، ويراها العامل بعينه في آجله وهو حين حلول الموت الّذي يرفع الحجاب ويكشف الغطاء إلى القبر والبرزخ والقيامة.

ويؤيّدها ظاهر قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ ...** ﴾ [29] ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ** ﴾ [30] فإنّ ظاهر الرّؤية بمفعول واحد هي الرّؤية بالبصر.

مفتاح الرّزق الصّدقة

قال (عليه السّلام): «**اِسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ**».

الشّرح

عن الصّادق (عليه السّلام) قال لابنه محمّد: كم فضل معك من تلك النّفقة؟ قال: أربعون دينارًا، قال: أخرج وتصدّق بها، قال: إنّه لم يبق معي غيرها، قال تصدّق بها فإنّ الله تعالى يخلفها أمَا علمت أنّ لكلّ شيء مفتاحًا ومفتاح الرّزق الصّدقة فتصدّق بها، ففعل فما لبث (عليه السّلام) عشرة أيّام حتّى جاءه من موضع أربعة آلاف دينار، فقال: يا بنيّ أعطينا الله أربعين دينارًا فأعطانا أربعة آلاف **[31]**.

وعنه (عليه السّلام): ما أحسن عبدٌ الصّدقة في الدّنيا إلاّ أحسن الله الخلافة على ولده من بعده وحسن الصّدقة يقضي الدّين ويخلف على البركة **[32]**.

ونظير كلامه (عليه السّلام) هذا كلام آخر له (عليه السّلام) (في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق) «**إذا أبطأت عليك الأرزاق استغفر الله يوسّع عليك** **[33]**.

سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ

وقال)عليه السّلام» :(**سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلاَءِ بِالدُّعَاءِ.**«

اللّغة

سُوسُوا :ساس القوم، دبّرهم، ساس الأمر: قام به)المنجد.(

الشّرح

«**سُوسُوا**» أي دبّروا.

«**إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ**» ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى** ﴾ **[34]**.

«**وَحَصِّنُوا**» أي احفظوا.

«**أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ**» في الكافي عن الصّادق (عليه السّلام): ما ضاع مال في برّ ولا بحر إلاّ بتضييع الزّكاة ولا يصاد من الطّير إلاّ ما ضيّع تسبيحه **[35]**.

وعنه (عليه السّلام): ما من رجل يمنع درهمًا في حقّه إلاّ أنفق اثنَيْن في غير حقّه **[36]**.

وعنه (عليه السّلام): ما أدّى أحد الزّكاة فنقصت من ماله، ولا منعها أحد فزادت في ماله **[37]**.

«**وَادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلاَءِ بِالدُّعَاءِ**» في الكافي عن الصّادق (عليه السّلام): أنّ الدّعاء يردّ القضاء ينقضه كما ينقض السّلك وقد أُبرم إبرامًا **[38]**.

وعن أبي الحسن (عليه السّلام): الدّعاء يردّ ما قدّر وما لم يقدّر؟ قيل: كيف ما لم يقدّر؟ قال: حتّى لا يكون **[39]**.

التّجارة مع الله سبحانه

وقال)عليه السّلام« :(**إِذَا أَمْلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللهَ بِالصَّدَقَةِ**.«

الشّرح

«**إِذَا أَمْلَقْتُمْ**» أي افتقرتم قال تعالى: ﴿ **... وَلَا تَقْتُلُواْ أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ...** ﴾ **[40]** .

«**فَتَاجِرُوا اللهَ بِالصَّدَقَةِ**» من افتقر وضاقت عليه سبل الرّزق فليتصدّق ولو بلقمة من قرصه على معدة خاوية، فإنّ الصّدقة مفتاح الرّزق. قال ابن أبي الحديد جاء في الأثر أنّ عليًّا (عليه السّلام) عمل ليهوديّ في سقي نخل له في حياة النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فخبزه قرصًا فلمّا هَمّ أن يفطر عليه أتاه سائل يستطعم فدفعه إليه وبات طاويًا فتاجر الله بتلك الصّدقة فعدّ النّاس هذه الصّدقة من أعظم السّخاء وأعظم العبادة **[41]**.

الزّكاة عن الأعوام السّابقة

في حديثه)عليه السّلام» :(**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدَّيْنُ الظَّنُونُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَى إِذَا قَبَضَهُ**.«

اللّغة

الظَّنُونُ :الّذي لا يعلم صاحبه أيقضيه من الّذي هو عليه أم لا، فكأنّه الّذي يظنّ به ذلك فمرّة يرجوه ومرّة لا يرجوه، وهو من أفصح الكلام، وكذلك كلّ أمر تطلبه ولا تدري على أيّ شيء أنت منه فهو ظنون.

الشّرح

«**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدَّيْنُ الظَّنُونُ**» أي الّذي لا يعلم صاحبه أيقبضه من الّذي هو عليه أم لا، فمرّة يرجوه ومرّة لا يرجوه والظّنون: الّتي لا يعلم فيها ماء أم لا.

«**يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَى إِذَا قَبَضَهُ**» أي إذا قبضه فإنّه يزكّيه عن كلّ الأعوام السّابقة.

الْمِيرَاثُ وَالْفَيْءُ والْخُمُسُ وَالصَّدَقَاتُ

وقال)عليه السّلام» :(**إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ)صلّى الله عليه وآله وسلّم) وَالْأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ: أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ فَقَسَّمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ، وَالْفَيْءُ فَقَسَّمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ، وَالْخُمُسُ فَوَضَعَهُ اللهُ حَيْثُ وَضَعَهُ، وَالصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللهُ حَيْثُ جَعَلَهَا** .«...

الشّرح

فقال (عليه السّلام): «**إِنّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)**» هكذا في المصريّة وابن ميثم ولكن في ابن أبي الحديد «**على محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)**» **[42]** «**وَالْأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ**»:

1 – «**أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ فَقَسَّمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ**» فقال في الطّبقة الأولى:

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ **[43]**.

وقال في الطّبقة الثّانية: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ **[44]**.

وقال جلّ وعلا: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُواْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾ **[45]**.

وقال في الطّبقة الثّالثة: ﴿ وَأُوْلُواْ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ **[46]**.

وذكر ميراث الأزواج فقال: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ **[47]**.

وذكر إبطال العصبة في مورد البنات والأخوات الّتي يقول بها غيرنا فقال: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً ﴾ **[48]**.

ودلّ على بطلان العول وورود النّقص على البنات والأخوات دون الأزواج والآباء والأمّهات، بأن جعل للأولى فريضة واحدة وللأخيرة فريضتان.

2 – «**وَالْفَيْءُ فَقَسَّمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ**» فقال جلّ وعلا: ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى

رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ [49].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ﴾ [50].

قالوا: أي كصفيّة وجويريّة.

3- «وَالْخُمُسُ فَوَضَعَهُ اللهُ حَيْثُ وَضَعَهُ» قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ﴾ [51].

والفيء كلّه للنّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأهل بيته (عليهم السّلام)، والغنيمة خمسها له ولهم.

4 - «وَالصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللهُ حَيْثُ جَعَلَهَا» فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [52].

الزَّكَاةُ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ

وقال)عليه السّلام) عن الزّكاة» :**إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلاَّ بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ، وَاللهُ تَعَالَى جَدُّهُ سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ.**«

الشّرح

وقف الإسلام في جانب الفقراء ضدّ الاستغلال والمستغلّين، وأنصفهم من الأغنياء والمترفين، وجعل الفقير شريك الغنيّ في أمواله: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ [53]. وهذا الحقّ هو الّذي عناه الإمام بقوله: «**إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ**».

وفي الحديث: «**لو أنّ النّاس أدّوا زكاة أموالهم ما بقي فقير**» [54] وبه نجد تفسير قول الإمام (عليه السّلام): «**فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلاَّ بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ**» والمعنى المحصّل من الآية الكريمة، والحديث الشّريف، وقول الإمام أنّ الغنيّ الّذي منع الحقّ عن أهله هو الّذي سلب لقمة الجائع، وسرق ثياب العاري، واغتصب مأوى

من لا مأوى له، وأيضًا هو السّبب الموجب لكلّ جريمة في شرق الأرض وغربها تحدُث بسبب البؤس والعوز، ومن هنا كان عذاب الّذين يكنزون الأموال: ﴿ **يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ** ﴾ **[55]**.

وقال الإمام جعفر الصّادق (عليه السّلام): «**إنّ الله جعل للفقراء في أموال الأغنياء ما يكفيهم، ولولا ذلك لزادهم، وإنّما يؤتون أي الفقراء من منع من منعهم**» **[56]** وهم الأغنياء.

أَحْمَدُ السُّبُل الزَّكَاةُ

وقال)عليه السّلام» :(**لِغَالِبِ بْنِ صَعْصَعَةَ، أَبِي الْفَرَزْدَقِ، فِي كَلاَمٍ دَارَ بَيْنَهُمَا، مَا فَعَلَتْ إِبِلُكَ الْكَثِيرَةُ؟ قَالَ: ذَعْذَعَتْهَا الْحُقُوقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ)عليه السّلام): ذَلِكَ أَحْمَدُ سُبُلِهَا.**«

اللّغة

ذَعْذَعَتْهَا الْحُقُوقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: أي بدّدتها حقوق الزّكاة والصّدقات،

فرّقتها الذّعاذع: الفرق المتفرّقة.

الشّرح

ذعذعتها: فرّقتها، والمراد بالحقوق هنا الزّكوات والصّدقات، وليس من شكّ أنّ بذل المال في هذه السّبيل أفضل وأجدى من أيّ سبيل آخر.

وقال ابن أبي الحديد: كان غالب هذا شيخًا كبيرًا يملك الكثير من الإبل، فوفد على الإمام أيّام خلافته، ومعه ولده الفرزدق الشّاعر الشّهير، وهو غلام يومئذ، فسأله الإمام عن إبله، ثمّ عن الغلام؟ قال: هو ابني، وقد رويته الشّعر وكلام العرب.

فقال له الإمام: لو أقرأته القرآن لكان خيرًا له، فكان الفرزدق يروي ذلك ويقول: ما زالت كلمة الإمام في نفسي، وقيّدت رجلي بقيد ما فككته حتّى حفظت القرآن **[57]**.

الْمُوسِرُ الْبَخِيلُ

وقال)عليه السّلام» :**(يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ يَعَضُّ الْمُوسِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِذَلِكَ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ.**«

اللّغة

زَمَانٌ عَضُوضٌ :أي شديد، كلب على النّاس كأنّه يعضّهم وفعول للمبالغة، عضّ فلان على ما في يدَيْه أي بخل وأمسك.

الشّرح

والمعنى يأتي زمان على النّاس قاس وشديد، يبخل فيه الغنيّ بماله، والله يأمره بالبذل، ويسود فيه الباطل، ويسيطر الأذناب والذّئاب، ينكّلون بالأبرار والأحرار، ويعمّ الفساد والضّلال، وينقاد من ينقاد للحاكمين الباغين اضطرارًا لا اختيارًا، والإسلام لا يقرّ معاملة المضطرّ أي المكره.

وإنّما فسّرنا الاضطرار هنا بالإكراه، لأنّ الفقهاء يصحّحون معاملة المضطرّ دون المكره، ويفلسفون ذلك بأنّ التّجارة لا بدّ أن تكون عن تراض، والاضطرار يجتمع مع الرّضا دون الإكراه كَمَنْ باع داره عن رضا وطيب نفس بدافع العلاج وتكاليفه.

هذه الحكمة من ملاحمه (عليه السّلام) وتنبؤاته عن المستقبل، وهي غير قليلة في خطبه وحكمه يخبر فيها عن زمان يقرب من زمانه إلى هذه العصور ويعلّمه بخمس علامات:

1- زمان الضّيق والشّدّة على أهله من جهة ضيق المعاش وتنوّع الملاذّ وكثرة القوانين والحدود الموضوعة من الظّلَمَة والجبّارين على الضّعفاء والمساكين وغير ذلك.

2- إمساك الأثرياء على أموالهم ومنع الحقوق الواجبة والانفاق على ذوي الحاجة.

3- نهوض الأشرار إلى تصدّي الولايات والرّياسات وتسلّطهم على الأمور وارتفاع أقدارهم في الدّنيا.

4- استذلال أهل الايمان والأبرار وعدم الاعتناء بهم في الأمور ومظانّ الاقتدار.

5- الاضطرار على المعاملة من وجوه شتّى يبيع النّاس نفوسهم للبيعة والانتخاب ويضطرّون إلى بيع أموالهم من ذوي النّفوذ والسّلطة والاقتدار.

الزّكاة زاد الآخرة

وقال)عليه السّلام» :**(الزّكاة نقص في الصّورة، وزيادة في المعنى.**«

الشّرح

ما نقص من الدّنيا وزاد في الآخرة، خير ممّا نقص في الآخرة وزاد في الدّنيا، لأنّ الحياة الدّنيا متاع وإنّ الآخرة هي دار القرار.

فمن يزرع بذره ينقص في العاجل ماله، ويربح في الآجل أضعاف ما نقص إذا قام بسقيه وقمع دغله كما أنّ من زاد زرعه بالنّباتات الدّغليّة يخسر ولا يحصل له كثير حاصل، وهكذا من يدفع الزّكاة ينقص ماله في العاجل ويزيد في الآجل.

---

[1] سورة البقرة، الآية: 43.

[2] وسائل الشّيعة:ج6، ص18 – 19.

[3] سورة البقرة، الآية: 261.

[4] الكافي: ج3، ص497، ح3.

[5] الكافي: ج1، ص503، ح2.

[6] سورة المؤمنون، الآيتان: 99 – 100.

[7] الكافي: ج1، ص504، ح3.

[8] سورة البقرة، الآية: 271.

[9] الكافي: ج4، ص8، ح1.

[10] الكافي: ج1، ص3، ح2.

[11] الكافي: ج1، ص4، ح5.

[12] الكافي: ج4، ص5، ح10.

[13] علل الشّرائع: ج2، ص95، ح1.

[14] علل الشّرائع: ج2، ص368، ح4.

[15] الكافي: ج1، ص502، ح5740.

[16] سورة التّوبة، الآية: 11.

[17] الكافي: ج3، ص500، ح5752.

[18] الكافي: ج3، ص503، ح5764.

[19] سورة المؤمنون، الآية: 99 – 100.

[20] الكافي: ج3، ص504، ح5765.

[21] سورة البقرة، الآية: 43.

[22] الكافي: ج3، ص507، ح5785.

[23] الكافي: ج3، ص504، ح5774.

[24] شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ج10، ص210.

[25] سورة النّحل، الآية: 96.

[26] سورة التّوبة، الآية: 54.

[27] الوسائل: ج9، ص15.

[28] جواهر الكلام: ج15، ص7.

[29] سورة آل عمران، الآية: 30.

[30] سورة الزّلزلة، الآيتان: 7 – 8.

[31] الكافي: ج4، ص3، ح6.

[32] الكافي: ج4، ص10، ح5.

[33] بحار الأنوار: ج75، ص9.

[34] سورة اللّيل، الآيات: 5 – 7.

[35] الكافي: ج3، ص506، ح15

[36] الكافي: ج3، ص546، ح2.

[37] الكافي: ج3، ص505، ح6.

[38] الكافي: ج2، ص470، ح1.

[39] الكافي: ج2، ص340، ح2.

[40] سورة الأنعام، الآية: 151.

[41] بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة: ج19، ص255.

[42] كذا في شرح ابن أبي الحديد 19: 158، لكن في شرح ابن ميثم 5: 381، مثل المصريّة.

[43] سورة النّساء، الآية: 11.

[44] سورة النّساء، الآية: 176.

[45] سورة النّساء، الآية: 12.

[46] سورة الأنفال، الآية: 75.

[47] سورة النّساء، الآية: 12.

[48] سورة النّساء، الآية: 7.

[49] سورة الحشر، الآيتان: 6 – 7.

[50] سورة الأحزاب، الآية: 50.

[51] سورة الأنفال: الآية: 41.

[52] سورة التّوبة، الآية: 60.

[53] سورة الذّاريات، الآية: 19.

[54] الوسائل: ج9، ص13.

[55] سورة التّوبة، الآية: 34.

[56] الكافي: ج3، ص498، ح4.

[57] في ظلال نهج البلاغة: ج4، ص440.

الفصل الثّالث: الصّوم

الصّوم من العبادات الكبرى

يقول الله سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ **[1]**.

تذكر الآية مباشرة فلسفة هذه العبادة التّربويّة، في عبارة قليلة الألفاظ، عميقة المحتوى، وتقول: ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾.

للصّوم أبعاد متعدّدة وآثار غزيرة ماديّة ومعنويّة في وجود الإنسان، وأهمّها البعد الأخلاقيّ، التّربويّ.

من فوائد الصّوم الهامّة «**تلطيف**» روح الإنسان، و«**تقوية**» إرادته، و«**تعديل**» غرائزه.

إنّ الصّوم يحظى من بين العبادات الإسلاميّة بمكانة متميّزة جدًّا وقد وردت حوله روايات عديدة منها عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): الصّائم في عبادة الله وإن كان نائمًا على فراشه ما لم يغتب مسلمًا **[2]**، هذه العبادة تتحقّق بأن يمسك الانسان عن الأكل والشّرب وغيرها من المفطرات.. من طلوع الفجر إلى المغرب بقصد الصّوم.

وإليك ما قاله أمير المؤمنين عنها:

الصّوم جُنّة

يقول)عليه السّلام ...» :(**وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ**.«

اللّغة

جُنَّةٌ :بضمّ الجيم، الوقاية.ط

الشّرح

«**وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ**» قد يرى البعض أنّ الصّوم ليس إلاّ عملاً سلبيًّا.. أجل، ولكن في هذا السّلب حكمة وإيجاب، وهو انتصار الانسان على نفسه، وتمرينه على كبح الشّهوات والأهواء، ولو أطلق الانسان العنان لأهوائه لكانت الحياة نارًا وجحيمًا.

روى (الكافي) عن عليّ بن عبد العزيز قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السّلام): ألا أخبرك بأصل الاسلام وفرعه وذروته وسنامه؟ [3] قلت: بلى، قال: أصله الصّلاة وفرعه الزّكاة وذروته وسنامه الجهاد في سبيل الله، ألا أخبرك بأبواب الخير إنّ الصّوم جنّة [4].

ابتغاء مرضاة الله

وقال (عليه السّلام) عن أصحابه الأوفياء: «**مُرْهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ، خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ**».

اللّغة

مُرْهُ: بضمّ الميم وسكون الرّاء جمع أمْرَه أي في عينه بياض ونحوه.

خُمْصُ الْبُطُونِ: بطونهم ضامرة.

الشّرح

أشار إلى مراتب زهدهم وخوفهم وخشيتهم من الله تعالى فقال» **مُرْهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ، خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ** «أراد أنّهم من شدّة بكائهم من خوف الله سبحانه صارت عيونهم فاسدة، ومن كثرة صيامهم ابتغاء لمرضاة الله صارت بطونهم ضامرة، ومن المواظبة على الدّعاء ظلّت شفاههم قليلة النّداوة والنّضارة، ومن المراقبة على التّهجّد والقيام باتت ألوانهم متغيّرة مصفرّة.

الصّوم يسوّد وجه الشّيطان

وقال (عليه السّلام): «**وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ، وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ**».

الشّرح

«**وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ**» الصّلاة تواضع، والتّواضع ضدّ الكبر، وإذن فالصّلاة تصون المصلّي من هذه الرّذيلة.

ثمّ إنّ الصّلاة عهد لله على عبده أن ينتهي عن الفحشاء والمنكر، وإذا كانت الصّلاة تروّض النّفس والأعضاء بالحركات فإنّ الزّكاة تروّضها بالمال وبذله، ولا شيء أثقل عليها من ذلك «**وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ**» ومن جرّب وجده الجهاد الأكبر، وهل للنّفس من جهاد وترويض أكثر من الصّبر على الجوع والعطش، وعن الشّاي والدّخان؟.

وبعبارة أخرى إنّ وجود المفاسد في الكِبْر صار علّة ومنشئاً لجعل تلك العبادات، فإنّها لاشتمالها على التّواضع والتّذلّل المنافي للكِبر والمضادّ له أمر الله سبحانه عباده المؤمنين بها حراسة لهم وحفظًا عن الكبر ومفاسده العظيمة، وحثًّا على التّواضع ومصالحه الخطيرة كما أمر بالحجّ مع ما له من الكيفيّات المخصوصة وباتّباع الرّسل مع ما لهم من الذّلّ والمسكنة.

أمّا اشتمال الصّلاة على التّواضع وتنافيها للتّكبّر فلكون مدارها بأفعالها وأركانها وأجزائها وشرايطها على ذلك.

وأمّا كون ذلك علّة لجعلها وتشريعها فيدلّ عليه صريحًا ما رواه في الفقيه قال:

كتب الرّضا عليّ بن موسى (عليهما السّلام) إلى محمّد بن سنان فيما كتب من جواب مسائله: إنّ علّة الصّلاة أنّها إقرار بالرّبوبيّة لله تعالى، وخلع الانداد وقيام بين يدي الجبّار جلَّ جلاله بالذّل والمسكنة والخضوع والاعتراف والطّلب للإقالة من سالف الذّنوب، ووضع الوجه على الأرض كلّ يوم إعظامًا لله عزّ وجلّ، وأن يكون ذاكرًا غير ناس ولا بطر، ويكون خاشعًا متذلّلاً راغبًا طالبًا للزّيادة في الدّين والدّنيا، مع ما فيه من الإيجاب والمداومة على ذكر الله باللّيل والنّهار لئلاّ ينسى العبد سيّده ومدبّره وخالقه، فيبطر ويطغى، ويكون في ذكره لربّه وقيامه بين يدَيْه زجرًا عن المعاصي ومانعًا له من أنواع الفساد **[5]**.

وهذه الرّواية كما دلّت على كون الصّلاة مانعة من الكبر، فكذا دلّت على كونها مانعة من البغي والظّلم وغيرهما من المعاصي جميعًا، وهو نصّ قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾.

وأمّا اشتمال الزّكاة على التّواضع فلأنّها شكر للنّعمة الماليّة كما أنّ العبادات البدنيّة شكر للنّعمة البدنيّة وظاهر أنّ شكر النّعمة ملازم للتّذلّل ومناف للتّكبّر على المنعم، ومن حيث إنّها مستلزمة للتّعاطف والتّرحّم على الفقراء والضّعفاء والمساكين تلازم الائتلاف بهم وتنافي التّكبّر عليهم أيضًا كما يدلّ على ذلك: ما رواه

في الوسائل عن الصّدوق (رحمه الله) بأسناده عن محمّد بن سنان عن الرّضا (عليه السّلام) أنّه كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله:

إنّ علّة الزّكاة من أجل قوت الفقراء وتحصين أموال الأغنياء، لأنّ الله عزّ وجلّ كلّف أهل الصّحّة القيام بشأن أهل الزّمانة والبلوى، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ في أموالكم إخراج الزّكاة وفي أنفسكم توطين الأنفس على الصّبر، مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله عزّ وجلّ، والطّمع في الزّيادة مع ما فيه من الزّيادة والرّأفة والرّحمة لأهل الضّعف والعطف على أهل المسكنة والحثّ لهم على المواساة، وتقوية الفقراء والمعونة لهم على أمر الدّين، وهو موعظة لأهل الغنى وعبرة لهم ليستدلّوا على فقراء الآخرة بهم، وما لهم من الحثّ في ذلك على الشّكر لله تبارك وتعالى لما خوّلهم وأعطاهم، والدّعاء والتّضرّع والخوف من أن يصيروا مثلهم في أمور كثيرة في أداء الزّكاة والصّدقات وصلة الأرحام واصطناع المعروف [6].

وأمّا تضمّن الصّيام للتّذلّل وتنافيه للتّكبّر فلكونه موجبًا لكسر ثورة النّفس الأمّارة وذلّتها، وسببًا لتباعد الشّيطان عنه، واندفاع وسوسته المنبعثة عنها الكبر ويرشد إلى ذلك:

ما رواه في الفقيه قال: وكتب أبو الحسن عليّ بن موسى الرّضا (عليهما السّلام) إلى محمّد بن سنان فيما كتب من جواب مسائله:

علّة الصّوم عرفان مسّ الجوع والعطش ليكون ذليلاً مستكينًا مأجورًا محتسبًا صابرًا، ويكون ذلك دليلاً له على شدائد الآخرة مع ما فيه من الانكسار له عن الشّهوات، واعظًا له في العاجل دليلاً على الآجل ليعلم شدّة مبلغ ذلك من أهل الفقر والمسكنة في الدّنيا والآخرة [7].

وفي الفقيه أيضًا قال النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لأصحابه: ألا أخبركم بشيء إنْ أنتم فعلتموه تباعد الشّيطان منكم كتباعد المشرق من المغرب؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الصّوم يسوّد وجهه، والصّدقة تكسر ظهره، والحبّ في الله والمؤازرة على العمل الصّالح يقطع وتينه، ولكلّ شيء زكاة وزكاة الأبدان الصّيام [8].

ثمّ المراد بمجاهدة الصّيام بذل الجهد له واحتمال مشاقّه ونسبة المفروضات إلى الأيّام من باب المجاز العقليّ والاسناد إلى الزّمان كما في مثل نهاره صائم أي الأيّام المفروض فيها الصّيام.

ما هو أفضل من الصّيام

وقال)عليه السّلام) من وصيّته لابنَيْه الحسن والحسين (عليهما السّلام» :(**فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا)صلّى الله عليه وآله وسلّم) يَقُولُ :صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ.**«

الشّرح

»**صَلاَحُ ذَاتِ البَيْن** «الحال الّتي بين الرّجل وأهله أو بين الرّجلَيْن أو القبيلتَيْن، والمراد هنا ما بين المسلمين. والبَيْن: الوصل هنا، كما في قوله :﴿ **لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ** ﴾ **[9]** .ويجوز أن يكون الذّات عبارة عن النّفس، كأنّه قال: صلاح نفس الوصل الّذي دبّ إليه الفساد بين النّاس خير من كثرة نوافل الصّلاة والصّوم **[10]**.

وقت الإفطار

وقال)عليه السّلام» :(**وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ، وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مِنًى.**«

الشّرح

«**وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ**» في الكافي عن الصّادق (عليه السّلام): أن تقوم بحذاء القبلة وتتفقّد الحمرة الّتي ترتفع من المشرق، فإذا جازت قمّة الرّأس إلى ناحية المغرب فقد وجب الافطار وسقط القرص **[11]**.

وعن الصّادق (عليه السّلام): إذا غابت الحمرة من المشرق فقد غابت الشّمس في شرق الأرض وغربها **[12]**.

«**وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مِنًى**» يعني من عرفات إلى المشعر. في الكافي عن الصّادق (عليه السّلام) قيل له: متى الإفاضة من عرفات؟ قال: إذا ذهبت الحمرة، يعني من الجانب الشّرقيّ **[13]**.

أي حين وقوع القرص وغيبوبة الشّمس حتّى يفيض الحاجّ من عرفات يوم عرفة، وذلك إذا سقط قرص الشّمس وغاب عن العيون في تلك الآفاق.

الصِّيَامُ زَكَاةُ الْبَدَنِ

وقال)عليه السّلام» :**(وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ الْبَدَنِ الصِّيَامُ.«**

الشّرح

«**وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ**» حتّى أنّ زكاة الجاه قضاء حوائج النّاس، وزكاة الأموال تسدّ حاجة المعوزين.

«**وَزَكَاةُ الْبَدَنِ الصِّيَامُ**» للثّبات والصّبر على الجوع والظّمأ. في (العلل) عن النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ما من مؤمن يصوم شهر رمضان احتسابًا إلاّ أوجب الله له سبع خصال أوّلها يذوّب الحرام من جسده **[14]**.

لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الظَّمَأُ

وقال)عليه السّلام» :**(كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الظَّمَأُ وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلاَّ السَّهَرُ وَالْعَنَاءُ حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ.«**

اللّغة

كمال الإخلاص

وقال)عليه السّلام» :**(وَالصِّيَامَ ابْتِلاَءً لِإِخْلاَصِ الْخَلْقِ.«**

الشّرح

«**وَالصِّيَامَ ابْتِلاَءً لِإِخْلاَصِ الْخَلْقِ**» لاشتماله على ترك اللّذائذ من المطاعم والمشارب وغيرها وتركها في غاية الصّعوبة، فيكون دليلاً على كمال الإخلاص.

وأيضًا هو أمر عدميّ لا يعلمه إلاّ الله إن لم يخبر صاحبه به، ولذا ورد في الحديث القدسيّ: «**الصّوم لي وأنا أجزي به**» وفي تاريخ بغداد صام داود الطّائيّ أربعين سنة ما علم به أهله وكان خرّازًا فكان يحمل غذائه معه ويتصدّق به في الطّريق ويرجع إلى أهله يفطر عشاء لا يعلمون أنّه صائم.

وفي (العلل) عن الرّضا (عليه السّلام): علّة الصّوم لعرفان مسّ الجوع والعطش ليكون العبد ذليلاً مستكينًا مأجورًا محتسبًا صابرًا، فيكون ذلك دليلاً على شدائد الآخرة مع ما فيه من الانكسار له عن الشّهوات واعظًا له في العاجل، دليلاً على الآجل ليعلم مبلغ ذلك من أهل المسكنة في الدّنيا والآخرة [15].

ولا رقيب على الصّائم إلاّ الله، ومن لا يخلص لخالقه لا يخلص لنفسه ولا لوطنه وأمّته.

عيد الفطر

وقال)عليه السّلام) في بعض الأعياد« :**إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ: لِمَنْ قَبِلَ اللهُ صِيَامَهُ وَشَكَرَ قِيَامَهُ وَكُلُّ يَوْمٍ لاَ يُعْصَى اللهُ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ.**«

الشّرح

«**إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ: لِمَنْ قَبِلَ اللهُ صِيَامَهُ**» وقبول الصّيام بالكفّ عن جميع المحرّمات لا خصوص المفطرات، وإنّما الكفّ عنها يوجب سقوط القضاء والكفّارة دون القبول.

ففي الخبر: ليس الصّيام من الطّعام والشّراب وحده، إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وباقي جوارحك حتّى شعرك [16].

«**وَشَكَرَ قِيَامَهُ**» أي: قبل صلاته، ولا تقبل الصّلاة إلاّ بالإقبال فيها على الله، إن كلاًّ فكلّ وإن جزءًا فجزء.

«**وَكُلُّ يَوْمٍ لاَ يُعْصَى اللهُ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ**» قال (عليه السّلام): لا تأمن البيات وقد عملت السّيّئات [17].

وقال أيضًا: ولا تبدينّ عن واضحة وقد عملت الأعمال الفاضحة [18].

وقالوا: ليس العيد لمن لبس الجديد، إنّما العيد لمن سلم من الوعيد، وليس العيد لمن ركب المطايا، إنّما العيد لمن ترك الخطايا، وليس العيد لمن حضر المصلّى، إنّما العيد لمن صام وصلّى.

وفي (الفقيه): نظر الحسن بن عليّ (عليهما السّلام) إلى ناس في يوم فطر يلعبون ويضحكون، فقال (عليه السّلام) لأصحابه: إنّ الله عزَّ وجلّ خلق شهر رمضان مضمارًا لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى رضوانه، فسبق فيه قوم ففازوا وتخلّف آخرون فخابوا، فالعجب كلّ العجب من الضّاحك اللاّعب في اليوم الّذي يُثاب

فيه المحسنون ويخيب فيه المقصّرون، وأيم الله لو كشف الغطاء لشغل كلّ محسن بإحسانه ومسيء بإساءته [19].

وفي الخبر: إنّ الملائكة ينادون النّاس في أوّل أوقات الصّلاة ويقولون لهم: قوموا وأطفئوا بالصّلاة في أوّل الوقت النّيران الّتي أوقدتموها على ظهوركم [20].

وكما أنّ من أصيب بمصيبة في يوم عيد ليس له فيه سرور كباقي النّاس في العيد، حتّى ورد عن الباقر (عليه السّلام): ما عيد للمسلمين أضحى ولا فطر إلاّ ويجدّد لآل محمّد (عليهم السّلام) فيه حزن: قيل: ولم ذاك؟ قال: لأنّهم يرون حقّهم في يد غيرهم كذلك من أصيب بخطيئة فيه استحقّت العقوبة به [21].

وفي (عيون ابن قتيبة) قال زيد الحميريّ: قلت لثوبان الرّاهب: أخبرني عن لبس النّصارى هذا السّواد ما المعنى فيه؟ قال: هو أشبه بلبس أهل المصائب، قلت: كلّكم معشر الرّهبان أصيب بمصيبة؟ قال: وأيّ مصيبة أعظم من مصيبة الذّنوب؟ قال: فلا أذكر قوله ذاك إلاّ أبكاني [22].

الصَّوْمُ عِبَادَةٌ

وقال)عليه السّلام» :(**الصَّوْمُ عِبَادَةٌ بَيْنَ العَبْدِ وخَالِقِهِ، لاَ يَطَّلِعُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ لاَ يُجازِي عَنْهَا غَيْرُهُ.**«

الشّرح

عن أبي جعفر (عليه السّلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): قال الله عزّ وجلّ: الصّوم لي وأنا أُجزي به [23].

يعني الصّوم عبادة خالصة لي لا يستولي عليه الرّياء والسّمعة لأنّه عمل مستور ليس كسائر الأعمال الّتي يطّلع عليها الخلق هذا، كما رُوِيَ أنّ نيّة المؤمن خير من عمله.

الصّيام ليس من الطّعام والشّراب وحده

وقال)عليه السّلام» :(**لَيْسَ الصَّوْمُ الْإِمْسَاكَ عَنْ المَأْكَلِ والمَشْرَبِ، الصَّوْمُ الْإِمْسَاكَ عَنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ سُبْحَانَهُ.**«

الشّرح

عن أبي عبد الله (عليه السّلام) قال: إنّ الصّيام ليس من الطّعام والشّراب وحده، إنّما للصّوم شرط يحتاج أن يُحفظ حتّى يتمّ الصّوم، وهو الصّمت الدّاخل أمَا تسمع ما قالت مريم بنت عمران: ﴿ **إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً** ﴾ [24] يعني صمت [25].

فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عن الكذب، وغضّوا أبصاركم، ولا تنازعوا ولا تحاسدوا، ولا تغتابوا، ولا تماروا، ولا تكذبوا، ولا تباشروا، ولا تخالفوا، ولا تغاضبوا، ولا تسابّوا، ولا تشاتموا، ولا تفاتروا [26]، ولا تجادلوا، ولا تنادوا [27]، عن المحرّمات بل المكروهات أيضًا، وقال (عليه السّلام): لا يكن يوم صومك كيوم إفطارك، وقال (عليه السّلام): إنّ الصّيام ليس من الطّعام والشّراب وحدهما فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عن الكذب، وغضّوا أبصاركم عمّا حرّم الله، ولا تنازعوا ولا تحاسدوا ولا تغتابوا ولا تمارُوا ولا تخالفوا (كذبًا بل ولا صدقًا) ولا تسابّوا ولا تشاتموا ولا تظلموا ولا تسافهوا ولا تضاجروا ولا تغفلوا عن ذكر الله وعن الصّلاة والزموا الصّمت والسّكوت والصّبر والصدّق ومجانبة أهل الشّرّ، واجتنبوا قول الزّور والكذب والفري والخصومة وظنّ السّوء والغيبة والنّميمة وكونوا مشرفين على الآخرة منتظرين لأيّامكم – ظهور القائم (عجّل الله تعالى فرجه الشّريف) من آل محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) – منتظرين لما وعدكم الله متزوّدين للقاء الله، وعليكم السّكينة والوقار والخشوع والخضوع وذلّ العبيد الحيرة من مولاها خائفين راجين، ولتكن أنت أيّها الصّائم قد طَهُر قلبك من العيوب وتقدّست سريرتك من الخبث ونظف جسمك من القاذورات وتبرّأت إلى الله ممّن عداه وأخلصت الولاية له وصمت ممّا قد نهاك الله عنه في السّرّ والعلانيَة وخشيت الله حقّ خشيته في سرّك وعلانيَتك، ووهبت نفسك الله في أيّام صومك وفرّغت قلبك له ونصبت نفسك له فيما أمرك ودعاك إليه، فإذا فعلت ذلك كلّه فأنت صائم لله بحقيقة صومه صانع له ما أمرك، وكلّما أنقصت منها شيئًا فيما بيّنت لك فقد نقص من صومك بمقدار ذلك، وإنّ أبي (عليه السّلام) قال: سمع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)امرأة تُسابُّ جارية لها وهي صائمة فدعا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بطعام فقال لها: كُلي، فقالت: أنا صائمة يا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فقال: كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك إنّ الصّوم ليس من الطّعام والشّراب وإنّما جعل الله ذلك حجابًا عن سواهما من الفواحش من الفعل والقول، ما أقلّ الصُّوَّم وأكثر الجُوَّع [28].

---

[1] سورة البقرة، الآية: 183.

[2] الوسائل: ج10، ص390، ح12.

[3] سنام الشّيء: أعلاه.

[4] الكافي: ج3، ص63، ح3.

[5] الوسائل: ج4، ص9، ح7.

[6] الوسائل: ج9، ص13، ح7.

[7] من لا يحضره الفقيه: ج2، ص74.

[8] من لا يحضره الفقيه: ج2، ص76.

[9] سورة الأنعام، الآية: 64.

[10] منهاج البراعة للرّاونديّ: ج3، ص161.

[11] الكافي: ج3، ص280، ح4.

[12] الكافي: ج3، ص279، ح2.

[13] الكافي: ج4، ص467، ح1.

[14] علل الشّرائع: ج2، ص379.

[15] بحار الأنوار: للمجلسيّ، ج75، ص328.

[16] الكافي: ج4، ص87، ح3.

[17] الكافي: ج2، ص273، ح21.

[18] بحار الأنوار: ج73، ص334، ح عليّ بن اسباط.

[19] من لا يحضره الفقيه: للصّدوق، ج1، ص324، ح83. انتشارات إمام الهدى قمّ.

[20] التّهذيب: للطّوسيّ، ح1، ص203.

[21] من لا يحضره الفقيه: للصّدوق، ج1، ص324، رواية 1484.

[22] عيون الأخبار: لابن قتيبة، ج2، ص297، بتصرّف.

[23] التّهذيب: ج4، ص 152، ح 420.

[24] سورة مريم، الآية: 26.

[25] الوسائل: ج10، ص165، ح13.

[26] الفترة: الضّعف والانكسار، وفي الوسائل: لا تنابزوا.

[27] تناد القوم: تنافروا وتخالفوا وتفرّقوا، وفي المخطوط والبحار: ولا تتأذّوا، وفي الوسائل: ولا تبادوا: تباد القوم، تبارزوا وأخذ كلّ منهم بقرنه.

[28] مفاتيح الجنان: ص268.

الفصل الرّابع: الحج

الحجّ أيضًا من العبادات الكبرى

حَجَّ بَيْتِهِ اَلْحَرَامِ

يوم النّحر وصِفة الأضحية

الحجّ والعمرة يغسلان الذّنب

اخْتبارُ الْأَوَّلِينَ والْآخِرِينَ فِي الحجِّ

ملازمة إقامة شعائر الحجّ

وقت الإفاضة

فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ

بيوت مكّة وبيعها وإيجارها

الحجّ جهاد الضّعفاء

تَقْوِيَةً لِلدِّينِ

تمهيد

الحجّ أيضًا من العبادات الكبرى

يقول الله سبحانه: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ [1]. فالحجّ من الفرائض والواجبات الإلهيّة الّتي عدّت من أركان الإسلام ..

وللتّأكيد على أهميّة الحجّ قال سبحانه في ذيل الآية الحاضرة:
﴿ **وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ أي إنّ الّذين يتجاهلون هذا النّداء، ويتنكّرون لهذه الفريضة، ويخالفونها لا يضرّون بذلك إلاّ أنفسهم لأنّ الله غنيّ عن العالمين، فلا يصيبه شيء بسبب إعراضهم ونكرانهم وتركهم لهذه الفريضة.

فلفريضة الحجّ أهميّة فائقة إلى درجة أنّ القرآن عبر عن تركها بالكفر. ويؤيّد ذلك ما روي عن النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنّه قال لعليّ (عليه السّلام): «**يا عليّ إنّ تارك الحجّ وهو مستطيع كافر يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ، يا عليّ، من سوَّف الحجّ حتّى يموت بعثه الله يوم القيامة يهوديًّا، أو نصرانيًّا**» [2].

إنّ هذه الفريضة الإلهيّة المهمّة ـ مثل بقيّة الفرائض والأحكام الدّينيّة الأُخرى ـ شُرِّعت لصلاح النّاس، وفرضت لفرض تربيتهم، وإصلاح أمرهم وترجع فائدتها إليهم، فلا يعود شيء منها إلى الله سبحانه أبدًا، فهو الغنيّ عنهم جميعًا.

وإليك ما قاله أمير المؤمنين عنها:

حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ

قال الإمام عليّ)عليه السّلام» :**(وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، الَّذِي يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عَلَماً، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً، فَرَضَ حَقَّهُ وَأَوْجَبَ حَجَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ :﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾.«**

اللّغة

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ: أوجب عَلَيْكُمْ.

حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ: الحجّ لغة: القصد أو الزّيارة، وشرعًا: المناسك المعروفة، والحرام هنا: ما يحرم انتهاكه. ووصف بيت الله بالحرام حيث يجب تقديسه، ويحرم هتكه، ولمن لاذ به نوع من الحصانة حتّى الطّير يحرم صيده هناك على المُحِلّ والمُحْرِم.

قِبْلَةً: الجهة الّتي يصلّى نحوها.

وُرُودَ الْأَنْعَامِ: أي كحال الأنعام تزاحمًا عند ورود الماء، وورود الماء: بلوغه.

وَيَأْلَهُونَ: من الوله، وهو لغة: الحزن والوجد، والمراد به هنا الحنين والشّوق.

وُلُوهَ الْحَمَامِ: شدّة الوجد وقيل: العكوف أي المكث والبقاء عند الشّيء، والحمام: الطّير.

وَإِذْعَانِهِمْ: الإذعان، الإقرار والاعتراف.

سُمَّاعاً: جمع سامع.

يُحْرِزُونَ: يصيبون ويجمعون.

مَتْجَرِ: التّجارة أو محلّها.

وَيَتَبَادَرُونَ: يتسارعون.

عَلَماً: العَلَم «بفتح العين واللام»: العلامة.

وَلِلْعَائِذِينَ: جمع عائذ، وهو المستجير والملتجىء.

حَرَماً: هنا ما يحمي الرّجل ويدافع عنه.

وِفَادَتَهُ: الوِفادة: الزّيارة، القدوم.

الشّرح

«و **فَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ**» أمّا فرض الحجّ ووجوبه فقد ثبت بالكتاب والسّنّة وإجماع المسلمين بل الضّرورة من دين الإسلام.

وأمّا البيت الحرام فهو أوّل بيت وضع للنّاس مباركًا وهدًى للعالمين، وموضعه أوّل بقعة خلقت من الأرض خلقها الله سبحانه من زبد الماء ودحى الأرض من تحتها واختارها على أجزائها وجعلها مطاف الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين والعباد الصّالحين، وفي الكافي عن النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يوم فتح مكّة: أنّ الله حرّم مكّة يوم خلق السّماوات والأرض، وهي حرام إلى أن تقوم السّاعة لم تحلّ لأحد قبلي ولا تحلّ لأحد بعدي، ولم تحلّ لي إلاّ ساعة من نهار [3].

«**الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ**» وهذة العبارة صريحة في أنّ القبلة هي نفس البيت لجميع الخلق، ولمّا لم يتمكّن النّائي من تحصيل التّوجّه إلى العين اكتفى في حقّه بمراعاة الجهة، وهو مذهب المتأخّرين من علمائنا، خلافًا للمتقدّمين حيث ذهبوا إلى أنّ البيت قبلة للمسجد والمسجد لأهل الحرم والحرم لمن في الدّنيا، والتّفصيل في الفقه وكونه قبلة للأنام صريح الكتاب مضافًا إلى السّنّة والإجماع، قال تعالى: ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ** ﴾.

«**الَّذِي يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ**» شبّه (عليه السّلام) ورود الحاجّ على البيت الحرام بورود الأنعام على الماء للشّرب ووجه الشّبه الاجتماع والتّزاحم، ومن ذلك سمّي ببكّة لأنّه من البكّ الّذي هو عبارة عن دفع البعض بعضًا، يقال: بكّه يبكّه بكًّا إذا دفعه وزاحمه.

كما قال الصّادق (عليه السّلام) في رواية العلل: إنّما سمّيت مكّة بكّة، لأنّ النّاس يتباكّون فيها، [4] أي يزدحمون.

«**وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ**» أي يسرعون إلى «**حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ**» وكلّ ذلك كناية عن شدّة اشتياق الحجّاج وفرط ميلهم إلى البيت الحرام، قالوا ومن طبْع الحَمَام أنّه يطلب وَكْرَهُ ولو أُرْسِل من ألف فرسخ وربّما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فأكثر، ثمّ هو على ثبات عقله حتّى يجد فرصة فيطير إلى وطنه.

«**جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ**» لأنّ طواف البيت نوع من التّعظيم، وتعظيم البيت تعظيم لله تعالى، ويكون نوعًا من التّذلّل والتّواضع لعظمة الله العظيم الأعظم.

«**وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ**» واعترافًا لجلالة الله وبه يعرف الطّائع من العاصي والمتواضع من المتكبّر، كما أنّ بعض الزّنادقة كان يعترض على بعض الأئمّة (عليهم السّلام) مستهزئًا بمناسك الحجّ وطواف الحجّاج حول البيت وهرولتهم في المسعى وغير ذلك، فأجابه الإمام (عليه السّلام) بكلام طويل ومنه أن يعرف الفرق بين الطّائع المتعبّد أي الّذي يطيع ويعمل حسب أمر الشّارع، لا اعتمادًا بفهمه واستنادًا بعلمه، وبدون أن يعرف الحكمة في تلك الأفعال.

وحيث أنّ توفيق العبادة رحمة من الله وفضل منه، والله يختصّ برحمته من يشاء ويؤتي فضله من يشاء لهذا فقد أنعم الله تعالى بهذه الرّحمة وهي حجّ البيت على بعض عباده دون بعض «**وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ**» انتخب من عباده من سمع نداء إبراهيم (عليه السّلام) حينما فرغ من بناء البيت، أمره الله تعالى أن ينادي في النّاس بالحجّ كما قال تعالى: ﴿ **وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾، فنادى إبراهيم: «**هلمّ إلى الحجّ**» فأجابه من أجابه، في أصلاب الرّجال، «**لبّيك داعي الله**» مرّة ومرّات، فحجّوا كذلك، ومن لم يلبّه لم يحجّ، كما في الخبر.

ويمكن أن يكون المقصود من دعوته هي الآية الشّريفة: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾.

«**وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ**» لأنّ تصديق كلمته أي أمره بالمجيء إلى بيته وامتثال أمره، فوقفوا في أماكن قد وقف فيها أنبياء الله، لأنّ الأنبياء أكثرهم قد حجّوا وأنّ البيت كان موجودًا من قبل آدم (عليه السّلام) كما في الحديث: إنّ آدم لمّا قضى مناسكه، وطاف بالبيت، لقيته الملائكة، فقالت يا آدم: لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام.

ولعلّ المقصود من تلك المواقف هي الوقوف بعرفة، أو عند رمي الجمرات أو غيرها، فهي مواقف الأنبياء والمرسلين وإضافة على ذلك أنّ الحجّاج «**تَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ**» لأنّ ملائكة السّماء كانوا يطوفون حول العرش، ثمّ أمرهم الله تعالى أن يطوفوا حول البيت المعمور، فالطّواف بالبيت تشبيه بالملائكة، وأمّا الثّواب الّذي أعدّه الله تعالى لمن حجّ بيته فلا يُحصى ولو أردنا ذكر الأحاديث الواردة حول الحجّ وثوابه لطال الكلام.

«**يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ**» شبّه الإمام (عليه السّلام) الحجّ بالتّجارة أو بمحلّها، وشبّه الحجّاج بالتّجار الّذين يحضرون السّوق لجلب المنافع وكسب الأرباح ولقد ورد مثل هذا في القرآن الكريم بقوله عزَّ وجلّ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [5] فعبادة الله تعالى تجارة مربحة وربحها الثّواب الأبديّ، والخلاص من النّار والعذاب.

«**وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ**» أي يتسارعون إلى الأعمال الّتي يغفر الله الذّنوب عندها فيصير الحاجّ كيوم ولدته أمّه، ولا يخفى أنّ الاجتماع الكثير في الحجّ يكون سببًا لانفعال الانسان والخشية من الله تعالى، فتحصل بذلك رقّة وتأثّر فيستغفرون من ذنوبهم، ويطلبون من الله قبول الأعمال والأجر عليها، ولعلّ المقصود من «**موعد مغفرته**» هو يوم عرفة، كما روي عن الإمام الصّادق (عليه السّلام) عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «**ما رُؤِيَ الشّيطان في يوم أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيض من يوم عرفة، وما ذلك إلاّ لما يرى من نزول الرّحمة وتجاوز الله عن الذّنوب العظام**» إذ من الذّنوب ما لا يكفّرها إلاّ الوقوف بعرفة [6].

«**جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عَلَماً، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً**» جعل الله الحجّ علامة للاسلام والمسلمين لأنّ غير المسلمين لا يحجّون البيت ولا يؤدّون المناسك والأعمال الواردة، وقد امتاز هذا البيت عن غيره من البيوت وذلك أنّ من أذنب ذنبًا أو جنى جناية، أو أجرم جريمة بحيث يستحقّ التّعزير أو الحدّ أو الرّجم أو القتل، إذا دخل المسجد الحرام أمن، ولا يجوز إخراجه من المسجد بل ولا يجوز إيذاؤه في داخل المسجد، وكذلك كلّ ذي

روح لا يجوز إيذاؤه في المسجد حتّى الطّيور بل حتّى القُمَّل، فالمجرم يُضَيَّق عليه أو يمنع عنه الطّعام والشّراب كي يخرج من المسجد فإذا خرج أُخذ، ولعلّ هذا معنى كلامه (عليه السّلام): وللعائذين حرمًا. أي من لاذ بالبيت فقد حرم انتهاكه وإيذاؤه، وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿ **وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً** ﴾.

«**فَرَضَ حَقَّهُ وَأَوْجَبَ حَجَّهُ وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**» فرض حجّه، وأوجب حقّه، وكتب عليكم وفادته فرض الله الحجّ على المستطيع مرّة واحدة في عمره، وأوجب عليه حقّه، وحقّ الله فرض واجب، يجب امتثاله، وكأنّ الله تعالى يدعو الحاجّ إلى بيته كما يدعو أحدنا الآخر لضيافته فمن لم يُجِبْ دعوة الله وأمره فهو كما قال الله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [7] [8].

يوم النّحر وصِفة الأضحية

من خطبة له)عليه السّلام) في ذكر يوم النّحر وصفة الأضحية» :**وَمِنْ تَمَامِ الْأُضْحِيَّةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا، وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ الْأُضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ الْقَرْنِ، تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنْسَكِ.**«

اللّغة

الْأُضْحِيَّةِ: بضمّ الهمزة وكسرها اتباعًا للحاء والياء المخفّفة والجمع أضاحي ويقال ضحيّة أيضًا والجمع ضحايا كعطيّة وعطايا وهي الشّاة الّتي تضحّي بها أي تذبح بها ضحاة، ومنها سمّي يوم الأضحى للعاشر من ذي الحجّة.

اسْتِشْرَافُ: أي الارتفاع والانتصاب يقال أذن شرفاء أي منتصبة.

عَضْبَاءَ: أي المكسور القرن وقيل القرن الدّاخل.

الْمَنْسَكِ: محلّ النّسك وهو العبادة والمراد به هنا المذبح ويجوز فيه فتح السّين وكسرها.

الشّرح

«**وَمِنْ تَمَامِ الْأُضْحِيَّةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا، وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا**» أراد بذلك أن لا يكون بعض أذنها أو جميعها مقطوعة وأن لا يكون عوراء «**فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ**» من النّقص «**وَالْعَيْنُ**» من العور «**سَلِمَتِ الْأُضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ**» أي أجزئت «**وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ الْقَرْنِ**» وعرجاء «**تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنْسَكِ**» محلّ النّسك وهو العبادة والمراد به هنا المذبح.

إعلم أنّ الأضحية مستحبّة مؤكّدة إجماعًا بل يمكن دعوى ضرورة مشروعيّتها وقول الاسكافيّ بوجوبها شاذّ ويدلّ على شدّة الاستحباب مضافًا إلى الاجماع أخبار كثيرة.

ففى الفقيه قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): استفرهوا [9] ضحاياكم فإنّها مطاياكم على الصّراط [10].

وجاءت أمّ سلمة إلى النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقالت يا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): يحضر الأضحى وليس عندي ثمن الأضحية فأستقرض فأضحّي؟ فقال: استقرضي وضحّي فإنّه دين مقضيّ ويغفر لصاحب الأضحية عند أوّل قطرة يقطر من دمه [11].

ومن العلل عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السّلام) قلت له: ما علّة الأضحية؟ فقال: إنّه يغفر لصاحبها عند أوّل قطرة تقطر من دمها في الأرض وليعلم الله عزّ وجلّ من يتّقيه بالغيب قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ** ﴾ ثمّ قال: أنظر كيف قبل الله قربان هابيل وردّ قربان قابيل [12].

وروي عن النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: ما من عمل يوم النّحر أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من إراقة دم وأنّها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها، وأنّ الدّم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع الأرض فطيّبوا بها نفسًا.

وعنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أيضًا: أنّ لكم بكلّ صرفة من جلدها حسنة، وبكلّ قطرة من دمها حسنة، وأنّها لتوضع في الميزان فابشروا [13].

هناك أحكام خاصّة بالأضحية يراجع فيها الكتب الفقهيّة.

الحجّ والعمرة يغسلان الذّنب

وقال)عليه السّلام ...» :(**وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ**.«

اللّغة

وَاعْتِمَارُهُ: اعتمر الرّجل: زار البيت والمعتمر الزّائر ومنه سميّت العمرة عمرة لأنّها زيارة البيت، يقال اعتمر فهو معتمر أي زار وقصد، وفى الشّرع زيارة البيت الحرام بشروط مخصوصة مذكورة في محالّها.

وَيَرْحَضَانِ: يغسلان.

الشّرح

«**وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ**» أي: يغسلان «**الذَّنْبَ**» فيزيلانه. روى الكافي عن إسحاق بن عمّار: قلت لأبي عبد الله (عليه السّلام): إنّي قد وطّنت نفسي على لزوم الحجّ كلّ عام بنفسي أو برجل من أهل بيتي بمالي، فقال: وقد عزمت على ذلك؟ قلت: نعم، قال: إن فعلت فأيقن بكثرة المال [14].

وعن النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): لا يحالف الفقر والحمّى مدمن الحجّ والعمرة [15]. وعن الصّادق (عليه السّلام) تابعوا بين الحجّ والعمرة فإنّهما ينفيان الفقر والذّنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد [16].

وعنه (عليه السّلام): الحجّاج يصدرون على ثلاثة أصناف: صنف يعتق من النّار، وصنف يخرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمّه، وصنف يحفظ في أهله وماله فذلك أدنى ما يرجع به الحاجّ [17].

اخْتبارُ الْأَوَّلِينَ والْآخِرِينَ فِي الحج

في خطبة له (عليه السّلام) قال فيها:

«أَلاَ تَرَوْنَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ: اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صلوات الله عليه إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، بِأَحْجَارٍ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ وَلاَ تَسْمَعُ، وَلاَ تُبْصِرُ فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً، ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ حَجَراً، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدَراً، وَأَضْيَقِ بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْراً، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ، لاَ يَزْكُو بِهَا خُفٌّ، وَلاَ حَافِرٌ وَلاَ ظِلْفٌ، ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ (عليه السّلام)، وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ، تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ، مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ، وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ لِلّهِ حَوْلَهُ وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ

خَلْقِهِمُ ابْتِلاَءً عَظِيماً وَامْتِحَاناً شَدِيداً وَاخْتِبَاراً مُبِيناً وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً جَعَلَهُ اللهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ وَوُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ جَمَّ الْأَشْجَارِ دَانِيَ الثِّمَارِ مُلْتَفَّ الْبُنَى مُتَّصِلَ الْقُرَى بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلاَءِ وَلَوْ كَانَ الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ وَنُورٍ وَضِيَاءٍ لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنَّ اللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ وَأَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ فَاللهَ اللهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ فَمَا تُكْدِي أَبَداً وَلاَ تُشْوِي أَحَداً لاَ عَالِماً لِعِلْمِهِ وَلاَ مُقِلاًّ فِي طِمْرِهِ وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ وَتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلاَءِ عَنْهُمْ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً وَالْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً وَلُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ اُنْظُرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ وَقَدْعِ طَوَالِعِ الْكِبْرِ».

اللّغة

نَتَائِقِ: جمع نتيقة أي الأرض المرتفعة ولو نسبيًّا.

مَدَراً: المدر قطع من الطّين اليابس.

قُطْراً: القطر بفتح القاف المطر، وبكسرها ضرب من النّحاس، وبضمها كما هنا الإقليم والنّاحية.

دَمِثَةٍ: سهلة ليّنة.

وَشِلَةٍ: قليلة.

لاَ يَزْكُو: لا ينمو.

خُفٌّ: هو للجمل.

حَافِرٌ: للفرس ونحوه.

ظِلْفٌ: للبقر والغنم.

مَثَابَةً: مجتمع النّاس، أو اسم لمكان الرّجوع، والمثوبة: الثّواب والجزاء. **لِمُنْتَجَعِ**: المنتجع بفتح الجيم المكان يقصده النّاس طلبًا للمنفعة.

رِحَالِهِمْ: والمراد بالرّحال هنا ما يصحبه المسافر.

تَهْوِي: تسرع أو تحنّ.

ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ: أمانيها.

وَمَهَاوِي: جمع مهوى أي الجوّ.

فِجَاجٍ: الطّريق بين جبلَيْن.

وَيَرْمُلُونَ: يهرولون.

شُعْثًا: الأشعث، المنتشر الشّعر.

السَّرَابِيلَ: كلّ ما يلبس.

الشُّعُورِ: الشّعائر، الدّلائل.

وَمَشَاعِرَهُ: أمكنتها.

بُرَّةٍ سَمْرَاءَ: الحنطة، والسّمراء أجودها.

وَأَرْيَافٍ: جمع ريف أي أرض فيها زرع وخصب.

مُحْدِقَةٍ: من أحدقت الرّوضة إذا صارت حديقة.

وَعِرَاصٍ: جمع عرصة، وهي السّاحة.

مُغْدِقَةٍ: فيها ماء.

نَاضِرَةٍ: حسنة وجميلة.

الْأَسَاسُ: بكسر الهمزة جمع أسّ وأساس أي أصل البناء.

مُعْتَلَجَ: الاعتلاج، الالتطام والاختلاط.

الشّرح

«**أَلاَ تَرَوْنَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ: اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ ...**» بنى سبحانه البيت الحرام من حجر وطين تمامًا كالبيوت الّتي نسكنها، وألزم بزيارته وحجّه من استطاع إليه سبيلاً... يخضع ويتذلّل، ويستغيث ويستجير، وهذا الإلزام والوجوب كان من زمن سحيق يبتدىء بآدم، وإلى آخر يوم، وإبراهيم (عليه السّلام) أعاد ما بدأه السّابقون. وكان البيت الحرام وما زال في واد غير ذي زرع، لا ثمر ولا مطر، أمّا طريقه فكان بحارًا وجبالاً، والحجّ إليه فيه متاعب ومصاعب تزيد المؤمن ثوابًا، وتميّزه عمّن عصى وتمرّد ... كانوا يمشون أو يركبون الدّواب إلى شاطىء البحر، ثمّ يركبون البحر إلى الصّحراء، يقطعونها على الجمال، ويعانون التّعب والخوف من القتل أو السّلب، ويقاسون الجوع والعطش، والحرّ والبرد.

أمّا اليوم وبعد السّيارة والطّيارة فالحجّ نزهة وسياحة، ولا شيء فيه للثّواب والتّمييز والاختبار إلا النّيّة الخالصة، والتّلبية لدعوة الله وحدها، والشّعور بالتّوجّه والانقطاع إليه تعالى عسى أن يتوب ويغفر. وروي أنّ النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أشار إلى ذلك بقوله: «**يأتي زمان على النّاس يخرج أغنياؤهم إلى بيت الله للسّياحة، وفقراؤهم للتّجارة، وعلماؤهم للسّمعة، وقلّة منهم تخرج لوجه الله**». والمراد بالفقراء هنا كلّ من يتّخذ الحجّ وسيلة للرّبح والاتّجار كالمعرّفين الّذين يقودون جماعة من الحجّاج بأجر معلوم، أمّا العلماء فالمراد بهم أصحاب العمائم الّذين ترسلهم الحكومات باسم البعثة لا لشيء إلا للسّمعة كما في الحديث.

إنّ بيت الله الحرام أحجار لا تضرّ ولا تنفع كما قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من قبل وقال الإمام وغير الإمام من بعد، ولكن هذه الأحجار رمز للإجماع على توحيد الله وعبادته، وشعار لتقديسه

وتعظيمه: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [18]. وليس الإسلام بدعًا في ذلك، فكلّ الأمم والطّوائف من بني آدم لها رموز وشعائر مطهّرة مقدّسة.

«**ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ (عليه السّلام)، وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ**» أي أن يحجّوا إلى بيت الله الحرام، وقيل: أنّه كان خيمة يطوف حولها آدم، ثمّ بناها ابنه شيث بالحجر والطّين «**فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ**» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً ﴾ [19]. ومنتجع إشارة إلى المنافع الّتي ذكرها سبحانه حيث قال: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ [20].

«**تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ**» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ [21]. «**مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ**» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [22].

«**حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ لِلّهِ حَوْلَهُ وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ**» على الحاجّ قبل كلّ شيء أن يلبس ثوبَي الاحرام، وهما إزاران يلفّ أحدهما حول وسطه، والثّاني على الظّهر والصّدر والكتفَيْن، ولا خيط يشبك أحدهما بالآخر، وإلى هذا أشار الإمام بقوله: «**قد نبذوا السّرابيل ...**» ... أمّا إعفاء الشّعور فهو إشارة إلى أنّ المحرم بكسر الرّاء يترك شعره بلا قصّ وحلق ونتف، ثمّ يرفع صوته بالتّلبية والتّهليل والتّكبير، ثمّ يطوف ويسعى، ويصلّي ويستغفر.

«**ابْتِلاَءً عَظِيماً وَامْتِحَاناً شَدِيداً ...**» لماذا نبذ السّرابيل، وتشويه المحاسن، والهرولة ذهابًا وإيابًا، والطّواف حول الأحجار بتذلّل وتضرّع؟

لا تسل إنّك عبد مأمور، ولمولاك حقّ التّمحيص والاختبار بالأمر والنّهي، وما عليك إلا أن تطيع، وعلى قدر طاعتك يعرف مقدار حبّك لله، وجزاؤك عنده.

«**وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ ...**» الله على كلّ شيء قدير، وأيضًا هو عليم حكيم، يعلم أنّه لو أعطى الدّنيا لأنبيائه لآمن النّاس بدنياهم لا بنبوّتهم ورسالتهم.. وأيضًا لو جعل بيته الحرام في حدائق وأنهار لكان مقهىً وملهىً، ومسرحًا للشّياطين لا مهبطًا للملائكة المقرّبين، ومسجدًا للعاكفين: ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [23].

وقيل: إنّ موقع مكّة في الخريطة الجغرافيّة كموقع القلب من الجسد، لأنّها وسط بين الشّمال والجنوب، وأنّ نسبة بلاد الغرب إليها قربًا وبعداً كنسبة بلاد الشّرق ... ومهما يكن فإنّ رحلة المسلم إلى مكّة هي رحلة حبّ لله ورسوله، أنّه يحنّ ويهرع إلى مكّة، ويقبّل الحجر الأسود، وهو يرجو أن تمسّ شفتاه نفس المكان الّذي قبّله محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ويطوف حول البيت، وهو يأمل أن تقع قدماه في نفس المكان الّذي وطأه محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) [24].

ملازمة إقامة شعائر الحجّ

من وصيّة له)عليه السّلام) للحسن والحسين (عليهما السّلام) لمّا ضربه ابن ملجم لعنه الله، قال)عليه السّلام» :(**وَاللهَ اللهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ، لاَ تُخَلُّوهُ مَا بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا**.«

اللّغة

لَمْ تُنَاظَرُوا :لم ينظر إليكم باحترام.

الشّرح

من وصاياه العامّة :ملازمة إقامة شعائر الحجّ في كلّ سنة، ليجتمع جميع المسلمين في هذا المعبد الإسلاميّ العامّ فيتعارفون ويتعاونون ويشدّ بعضهم أزر بعض، فإنّ الحجّ عمود الاجتماع الإسلاميّ فلو ترك تنثلم الوحدة الإسلاميّة ولا يناظر المسلمون.

وقت الإفاضة

وقال)عليه السّلام» :(**وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ، وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مِنًى**.«...

الشّرح

«**وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ**» في الكافي عن الصّادق (عليه السّلام): أن تقوم بحذاء القبلة وتتفقّد الحمرة الّتي ترتفع من المشرق، فإذا جازت قمّة الرّأس إلى ناحية المغرب فقد وجب الافطار وسقط القرص [25].

وعن الصّادق (عليه السّلام): إذا غابت الحمرة من المشرق فقد غابت الشّمس في شرق الأرض وغربها [26].

«**وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مِنًى**» يعني من عرفات إلى المشعر، في الكافي عن الصّادق (عليه السّلام) قيل له: متى الإفاضة من عرفات؟ قال: إذا ذهبت الحمرة يعني من الجانب الشّرقيّ [27].

وعنه (عليه السّلام): أنّ المشركين كانوا يفيضون قبل أن تغيب الشّمس فخالفهم النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فأفاض بعد غروبها [28].

وعنه (عليه السّلام): وقت المغرب إذا ذهبت الحمرة من المشرق وتدري كيف ذاك أنّ المشرق مطلّ على المغرب هكذا ورفع يمينه فوق يساره فإذا غابت ها هنا ذهبت الحمرة، من ها هنا [29].

فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ

ومن كتاب له (عليه السّلام) كتبه إلى قثم بن العبّاس وهو عامله على مكّة:

«أَمَّا بَعْدُ فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ، وَاجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتِيَ، وَعَلِّمِ الْجَاهِلَ وَذَاكِرِ الْعَالِمَ وَلاَ يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلاَّ لِسَانُكَ وَلاَ حَاجِبٌ إِلاَّ وَجْهُكَ وَلاَ تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا وَانْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قِبَلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْفَاقَةِ وَالْخَلاَّتِ وَمَا فَضَلَ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَلاَّ يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ سَوَاءً الْعاكِفُ فِيهِ وَالْبادِ «فَالْعَاكِفُ الْمُقِيمُ بِهِ» وَالْبَادِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ وَالسَّلاَمُ».

اللّغة

الْعَصْرَيْنِ: العصر: آخر النّهار، والعصران: الغداة والعشيّ، أي اللّيل والنّهار، وفي مجمع البحرَيْن للشّيخ الطّريحيّ: «**جاء في الحديث: حافظ على العصرَيْن، يريد صلاة الفجر وصلاة العصر، لأنّ الأولى تقع في طرف النّهار والثّانية في طرف اللّيل**» أي القريبة منه.

وَذَاكِرِ الْعَالِمَ: خض معه في حديث العلم ومسائله.

قِبَلَكَ: بكسر القاف، عندك وجهتك.

ذِيدَتْ: منعت.

وِرْدِهَا: ورد، دخول الغنم والبعير على الماء للشّرب.

الْفَاقَةِ: الفقر.

وَالْخَلَّاتِ: الحاجات.

وَالْبادِ: مخفّف البادي ساكن البادية.

لِمَحَابِّهِ: ما يحبّ.

الشّرح

كان قثم بن العبّاس واليًا للإمام على مكّة، وهذه الرّسالة الثّانية إلى قثم، ولكنّ موضوعها غير موضوع الأولى. «**فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ**» حجّ بهم على كتاب الله وسنّة نبيّه، وعلّمهم المناسك وما يجب فعله وتركه «**وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ**» الّتي عاقب فيها الأمم الماضية على البغي والفساد: وخوّفهم بذلك لعلّهم يتّقون «**وَاجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ**» صباحًا ومساءً، لتستمع إلى مشكلاتهم، وتسعى في حلّها بجهدك ومقدرتك «**فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتِيَ**» أجب عمّا تسأل عنه من حلال الله وحرامه.

«**وَعَلِّمِ الْجَاهِلَ**» اقعد للتّدريس في حلقة من التّلاميذ، تعلّمهم الدّين أصولاً وفروعًا.

«**وَذَاكِرِ الْعَالِمَ**» تدارس معه مسائل الدّين، وشؤون البلاد ومصالحها «**وَلاَ يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلاَّ لِسَانُكَ وَلاَ حَاجِبٌ إِلاَّ وَجْهُكَ وَلاَ تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا**».. اختلط بهم، وقابلهم وجهًا لوجه، واسمع منهم، واسمعهم مباشرة وبلا واسطة تمامًا كما فعل الأنبياء. ولماذا الحجاب وغلق الأبواب؟

«**فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا**» إن عرضت الحاجة ومنعت أوّلاً، ثمّ راجعت نفسك وقضيتها فإنّ صاحبها لا يحمدك، ولا يرى لك فضلاً، فالأولى أن تبادر إلى قضائها بمجرّد عرضها عليك، فإنّ الله يضاعف لك الأجر، وصاحبها يضاعف لك الشّكر، لأنّ تعجيل الخير من

الخير ومضاعفاته «**وَانْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قِبَلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْفَاقَةِ وَالْخَلاَّتِ وَمَا فَضَلَ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا**».

فأنفقه على المصالح العامّة والمحاويج من أهل البلاد الّتي جمع منها المال، فإنّها أولى من غيرها، فإن تبقّى منه شيء فأرسله إلينا لنوجّهه إلى وجهته.

بيوت مكّة وبيعها وإيجارها

اتّفقت المذاهب الإسلاميّة قولاً واحدًا أنّ مواضع النّسك في مكّة المكرّمة لا تباع ولا تؤجّر كمحلّ السّعي والرّمي، واختلفوا في بيوت مكّة: هل تباع وتؤجّر؟ وعن مالك وأبي حنيفة المنع، وعن الشّافعيّ الجواز، وعن أحمد روايتان. قيل: أصحّهما المنع. وكما اختلف فقهاء السّنّة فيما بينهم اختلف كذلك فقهاء الشّيعة، قال الشّيخ الطّوسي: لا يجوز البيع ولا الايجار تمامًا كما قال مالك وأبو حنيفة. وقال الشّهيد الثّاني في «المسالك» ما نصّه بالحرف الواحد: «**المشهور الجواز، وعليه العمل، وتسمية مكّة مسجدًا مجاز للحرمة والشّرف والمجاورة**».

وقال صاحب «**الجواهر**»، أيضًا بالنّص الحرفيّ: «**ومن هنا كان المتّجه الجواز كما هو خيرة جماعة**» قال هذا بعد أن مهّد له بأنّه لم يقف على شيء من طرق الشّيعة يدلّ على المنع. ورواية المنع عن النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سندها عبد الله بن عمرو ابن العاص.

والأرجح هو القول بالجواز وإن سألنا سائل: وماذا تصنع بقول الإمام هنا لعامله: «**وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَلاَّ يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً**» فإنّه ظاهر في المنع وعدم الجواز.

جوابه: لو أنّ الإمام قال هذا وسكت دون أن يستدلّ بقوله تعالى: ﴿ **سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ** ﴾ لكان هذا حجّة متّبعة يجب الأخذ بها. أمّا وقد استدلّ بالآية فلا بدّ من صرف الظّاهر عن الحقيقة إلى المجاز، وحمل الأمر على الضّيافة المستحبّة، لأنّ موضوع الكلام مختصّ بالمسجد الحرام، والآية نصّ فيه، وردّ على المشركين الّذين صدّوا النّاس عنه، والتّعبّد فيه، وهذه هي الآية كاملة: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [30] ».

والمسجد الحرام شيء، وبيوت مكّة الّتي هو موضوع الكلام شيء آخر، ولا صلة بين الاثنَيْن لا موضوعًا ولا حكمًا، ولا أيّ شيء سوى علاقة الجوار، وهي تصلح للاستحباب لا للوجوب، أي لصرف الظّهور عن الحقيقة، وهي الإلزام، إلى المجاز، وهو الرّجحان [31].

الحجّ جهاد الضّعفاء

وقال)عليه السّلام» :(**الْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ**.«...

الشّرح

«**وَالْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ**» في الكافي عن النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): الحجّ أحد الجهادَيْن وهو جهاد الضّعفاء ونحن الضّعفاء أمَا إنّه ليس أفضل من الحجّ إلاّ الصّلاة، وفي الحجّ ههنا صلاة وليس في الصّلاة حجّ، لا تدع الحجّ وأنت تقدر عليه أمَا ترى أنّه يشعث فيه رأسك ويقشف فيه جلدك وتمتنع فيه من النّظر إلى النّساء وإنّا نحن ههنا قريب ولنا مائة قرى متّصلة ما نبلغ الحجّ حتّى يشقّ علينا، فكيف أنتم في بعد البلاد؟ وما من ملك ولا سوقة يصل إلى الحجّ إلاّ بمشقّة في تغيير مطعم أو مشرب أو ريح أو شمس لا يستطيع ردّها وذلك قوله تعالى: ﴿ **وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [32] [33].

وعن الثّمالي، قال رجل لعليّ بن الحسين (عليه السّلام): تركت الجهاد وخشونته ولزمت الحجّ ولينه؟ فقال (عليه السّلام) له: ويحك أمَا بلغك ما قال النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في حجّة الوداع لمّا وقف بعرفة إنّ ربّكم تطوّل عليكم في هذا اليوم فغفر لمحسنكم وشفّع محسنكم في مسيئكم فأفيضوا مغفورًا لكم [34].

وروى الفقيه أنّ الرّجل قال له (عليه السّلام): آثرت الحجّ وقد قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ...** ﴾ [35] فقال (عليه السّلام): فاقرأ ما بعدها: ﴿ **التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ ...** ﴾ إلى آخر الآية، فإذا رأيت هؤلاء فالجهاد معهم يومئذ أفضل من الحجّ [36].

وعن الرّضا (عليه السّلام) قيل له: بلغنا أنّه قيل لبعض آبائك: في بلادنا موضع رباط يقال له قزوين وعدوّ يقال له الدّيلم، فهل من جهاد أو رباط؟ فقال: عليكم بهذا البيت فحجّوه، أما يرضى أحدكم أن يكون في بيته ينفق على عياله ينتظر أمرنا فإن أدركه كان كمن شهد بدرًا مع النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وإن لم

يدركه كان كمن قام مع قائمنا في فسطاطه هكذا وهكذا وجمع بين سبابتَيْه فقال (عليه السّلام): هو على ما ذكر [37].

تَقْرِبَةً لِلدِّينِ

وقال)عليه السّلام ...» :(**وَالْحَجَّ تَقْرِبَةً لِلدِّينِ**.«

الشّرح

»**وَالْحَجَّ تَقْرِبَةً لِلدِّينِ** «أي لأهل الدّين حيث يجتمعون في آن واحد، ومكان واحد، وفي زيّ واحد، وينشدون نشيدًا واحدًا وهو **تَقْرِبَةً لِلدِّينِ** أيضًا.

---

[1] سورة آل عمران، الآية: 97.

[2] من لا يحضره الفقيه: ج 4، ص 368، باب النّوادر.

[3] الكافي: ج 4، ص226، ح4.

[4] علل الشّرائع: ج 2، ص397، ح1.

[5] سورة الصّفّ، الآيتان: 10 – 11.

[6] شرح نهج البلاغة (الحائريّ): ج 1، ص106.

[7] سورة آل عمران، الآية: 97.

[8] شرح نهج البلاغة: ج 1، ص107.

[9] دابّة فارهة: نشيطة حادّة قويّة، أي اختاروا الفارهة الجيّدة منها غير المعيوبة.

[10] الوسائل: ج 14، ص209، ح1.

[11] من لا يحضره الفقيه: ج 2، ص214.

[12] علل الشّرايع: ج 2، ص439، ح2.

[13] منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج 4، ص321.

[14] الكافي: ج 4، ص253، ح5.

[15] الكافي: ج 4، ص255، ح8.

[16] الكافي: ج 4، ص255، ح1.

[17] الكافي: ج 4، ص253، ح6.

[18] سورة الحجّ، الآية: 32.

[19] سورة البقرة، الآية: 125.

[20] سورة الحجّ، الآية: 28.

[21] سورة إبراهيم، الآية: 37.

[22] سورة الحجّ، الآية: 27.

[23] سورة البقرة، الآية: 125.

[24] في ظلال نهج البلاغة: ج 3، ص132.

[25] الكافي: ج 4، ص279، ح5.

[26] الكافي: ج 4، ص279، ح2.

[27] الكافي: ج 4، ص467، ح1.

[28] الكافي: ج4، ص467، ح2.

[29] بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة: ج 13، ص171.

[30] سورة الحجّ، الآية: 25.

[31] في ظلال نهج البلاغة: ج 4، ص175.

[32] سورة النّحل، الآية: 7.

[33] الكافي: ج 4، ص253، ح7.

[34] الكافي: ج 4، ص259، ح24.

[35] سورة التّوبة، الآية: 111.

[36] من لا يحضره الفقيه: ج 2، ص220.

[37] بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة: ج 13، ص141.

الفصل الخامس: الولاية

الولاية فريضة من الفرائض

الحرص على مصلحة الإسلام والمسلمين

صفة أهل البيت (عليهم السّلام)

الإمامة منصب إلهيّ

وجوب اتّباعه (عليه السّلام)

موقع الأمير (عليه السّلام)

ولاية أمركم

لا هدف للإمام (عليه السّلام) من الخلافة غير إحقاق الحقّ

قيام الحقّ ودفع الباطل

عدم المنافسة على السّلطة

خَيْرُ الْعِتَرِ

شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ

أئمّة الدّين

الثّناء على أهل البيت (عليهم السّلام)

عصمة أهل البيت (عليهم السّلام)

فهرس المصادر

الفصل الخامس: الولاية

تمهيد

الولاية فريضة من الفرائض

الشّرح

قال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ [1].

الولاية فريضة من الفرائض، فقد أعلن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ولاية عليٍّ (عليه السّلام) على الشّاهد والغائب قبل وبعد نزول الآية ، فقال: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمَّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره»، وبعد فرض الولاية نزل قوله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً** ﴾ [2].

فكبَّر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وحمد الله على إكمال الدّين ورضا الرّبِّ برسالته وولاية عليٍّ (عليه السّلام) من بعده، فأصبح عليُّ بن أبي طالب (عليه السّلام) مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة.

واعلم أنَّ طاعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) واجبة ومقرونة بطاعة الله سبحانه وبطاعة الرّسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو وليّ المؤمنين كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾ [3].

وهذه الآية نزلت في شأن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) عندما تزكّى بخاتمه لذلك السّائل وهو في حالة الرّكوع أثناء الصّلاة فنزلت هذه الآية الشّريفة في مدحه والثّناء عليه.

وعن جابر بن يزيد الجعفيّ، قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاريّ يقول: لمّا أنزل الله عزّ وجلّ على نبيّه محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ قلت: يا رسول الله، عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر الّذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «**هم خلفائي– يا جابر– وأئمّة المسلمين من بعدي، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التّوراة بالباقر، ستدركه – يا جابر– فإذا لقيته فاقرأه منّي السّلام، ثمّ الصّادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سميّي وكنيّي حجّة الله في أرضه، وبقيّته في عباده ابن الحسن بن عليّ، ذاك الّذي يفتح الله تعالى ذكره على يدَيْه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الّذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان**».

قال جابر: فقلت له: يا رسول الله، فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟

فقال (عليه السّلام): «**إي والّذي بعثني بالنّبوّة، إنّهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع النّاس بالشّمس، وإن تجلاّها سحاب. يا جابر، هذا، من مكنون سرّ الله، ومخزون علم الله، فاكتمه إلاّ عن أهله**» [4].

وإليك ما قاله أمير المؤمنين عنها:

الحرص على مصلحة الإسلام والمسلمين

قال أمير المؤمنين (عليه السّلام» :**(لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ، وَإِلاَّ رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْإِبِلِ وَإِنْ طَالَ السُّرَى.«**

اللّغة

أَعْجَازَ: جمع عجز وهو مؤخّر الشّيء أو الجسم يقال: ركب أعجاز الإبل أي ركب الذّلّ والمشقّة.

السُّرَى: سير اللّيل، المنجد، والمراد به هنا طول الأمد.

الشّرح

«**لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ، وَإِلاَّ رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْإِبِلِ وَإِنْ طَالَ السُّرَى**» يذهب علماؤنا إلى أنّه قاله (عليه السّلام) يوم الشّورى بعد اجتماع الجماعة لاختيار واحد من السّتّة، وأكثر أرباب السِّيَر ينقلونه على هذا الوجه.

شأن ورود هذه الجملة يدلّ على أنّ مراده (عليه السّلام) من هذه الجملة هو تحمّل المشقّة لا لشيء إلاّ حرصًا على مصلحة الإسلام والمسلمين، وخوفًا من الفتنة وانشقاق الكلمة، والصّبر الطّائل إلى أن تظهر الدّولة الحقّة والحكومة الإسلاميّة المحقّة، وفيها إشارة وبشارة إلى ظهور الحجّة عجّل الله فرجه، وفي جملة «**وَإِنْ طَالَ السُّرَى**» إشارة إلى أنّ دوران حكومة حكّام الجور مظلم، والعالم في أيّام سلطتهم كاللّيل لا يهتدي فيها عموم البشر، ولا تتنوّر البصائر بنور الحقّ والعدالة.

صفة أهل البيت (عليهم السّلام(

قال الإمام عليّ (عليه السّلام) عن آل النّبيّ (عليهم السّلام):

«هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ وَلَجَأُ أَمْرِهِ وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ وَكُهُوفُ كُتُبِهِ وَجِبَالُ دِينِهِ بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ وَمِنْهَا يَعْنِي قَوْمٍ آخَرِينَ، الْمُنَافِقِينَ زَرَعُوا الْفُجُورَ وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ وَحَصَدُوا الثُّبُورَ، لاَ يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَلاَ يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً

هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلاَيَةِ وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ».

اللّغة

لَجَأُ: اللّجاء محرّكة كالملجأ الملاذ من لجأ إليه كمنع وفرح لاذ.

عَيْبَةُ: الوعاء، ما يجعل فيه الثّياب ومن الرّجل موضع سرّه.

مَوْئِلُ: الملجأ من وئل إليه يئل وئلاً ووؤلاً ووئيلاً ووائل موائلة ووئالاً لجأ وخلص.

كُهُوفُ: جمع كهف وهو غار واسع في الجبل فإن كان صغيرًا قيل له الغار والبيت المنقور في الجبل، وفلان كهف لأنّه يلجأ إليه كالبيت على الاستعارة.

انْحِنَاءَ: اعوجاجًا.

ارْتِعَادَ: اضطراب.

فَرَائِصِهِ: جمع فريصة، وهي اللّحمة الّتي بين الجنب والكتف.

حَصَدُوا: حصدت الزّرع وغيره حصدًا من بابَي ضرب وقتل فهو محصود وحصيد.

الثُّبُورَ: الهلاك والخسران.

أَسَاسُ: الشّيء أصله.

الْغَالِي: الغلوّ التّجاوز عن الحدّ قال تعالى: ﴿ **لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ** ﴾، إي لا تجاوزوا الحدّ.

التَّالِي: تلوت الرّجل أتلوه تلوًا تبعته والمراد بالتّالي هنا المرتاد الّذي يريد الخير ليؤجر عليه.

الشّرح

من هم أهل البيت (عليهم السّلام)؟

«**هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ**» والمراد بالسّرّ علم لا يجوز إظهاره للعموم والأئمّة (عليهم السّلام) موضعه ومأواه ومستقرّه ومقامه وخزّانه وحفّاظه لا يظهرونه أو لا يظهرون منه إلاّ ما يحتمل على من يتحمّل إذ العموم لا يقدر على تحمّل أسرار الله سبحانه، ولذلك قال عليّ بن الحسين (عليهما السّلام): لو علم أبو ذرّ ما في قلب سلمان لقتله.

«**وَلَجَأُ أَمْرِهِ**» المراد أنّهم لجاء للعباد في الأوامر الدّينيّة بمعنى أنّ الخلق إذا تنازعوا في شيء منها وعجزوا فيها عن النّيل إلى الواقع فهم الملجأ والملاذ، لأنّهم أولو الأمر، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾.

علم المعصوم

«**وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ**» أي مخزنه، قال الإمام الصّادق (عليه السّلام): نحن ولاة أمر الله، وخزنة علمه، وعيبة وحْيِه، ونحن الرّاسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله [5].

«**وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ**» والمراد بالحكم إمّا الأحكام الشّرعية أي خطاب الله المتعلّق بأفعال المكلّفين من حيث الاقتضاء أو التّخيير وإمّا القضاء الرّافع للخصومات، وعلى أيّ تقدير فهم موئله ومنجاه، إليهم يلتجىء فيه وبهم يحصل الخلاص والنّجاة لأنّ ما عندهم هو الحكم المتلقّى من الوحي الالهيّ الّذي هو مطابق للواقع والواقع مطابق له، وهو كلّه صواب لا ريب فيه وهم المرشدون إليه والأدلاّء عليه.

«**وَكُهُوفُ كُتُبِهِ**» قال الشّيخ محمّد عبده: «**إنّ حكمه وشرعه أي النّبيّ يرجع إليهم، وهم أي أهل البيت حفّاظ كتبه يحوونها كما تحوي الكهوف ما فيها، والكتب القرآن وجمعه، لأنّه فيما حواه كجملة ما تقدّمه من الكتب، ويزيد عليها ما خصّ الله به هذه الأمّة ثمّ قال وهذه صفات أهل البيت لاستعدادهم لأسرار الله وحكمته**».

«**وَجِبَالُ دِينِهِ**» أي أنّ أهل البيت مثلهم بالنّسبة إلى الإسلام كمثل الجبال بالنّسبة إلى الأرض، فلولا الجبال لمادت الأرض بأهلها، ولولا أهل البيت لماد الإسلام، ولم يكن له عين ولا أثر.

«**بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ**» قال الشّيخ محمّد عبده: «**كنّى بانحناء الظّهر عن الضّعف في بدء الاسلام، وبإقامة الدّين عن القوّة، وبهم أمنه من الخوف الّذي ترتعد منه الفرائص**».

فكلام الشّيخ محمّد عبده صريح في أنّ الاسلام نما وقوِيَ وامتدّ بأهل البيت (عليهم السّلام).

وبعد، فإنّ الأوصاف الّتي ذكرها الإمام لأهل البيت تشهد بها آية المباهلة، وآية التّطهير، وحديث الثّقلَيْن الّذي ساوى النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فيه بين القرآن وأهل بيته.

«**وَمِنْهَا يَعْنِي قَوْمٍ آخَرِينَ الْمُنَافِقِينَ**» إشارة إلى من جحد حقّه (عليه السّلام).

«**زَرَعُوا الْفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ**» تنطبق هذه الأوصاف تمامًا على الفئة الّتي حاربت الإمام في صِفّين، وهذه الفئة هي المرادة من قول الإمام، لأنّ هذه الخطبة كانت بعد رجوعه من صِفّين بلا فاصل.

«**لاَ يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ**» لأنّ الله طهّرهم من الذّنوب بنصّ آية التّطهير، ورسول الله ساوى في حديث الثّقلَيْن بينهم وبين القرآن الّذي لا يقاس به شيء، ولا يأتيه الباطل من بين يدَيْه ولا من خلفه.

«**وَلاَ يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ**» قال ابن أبي الحديد: «**ولا ريب أنّ محمّدًا (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأهله الأدنَيْن من بني هاشم أنعموا على الخلق كافّة بنعمة لا يقدّر قدرها، وهي الدّعاء إلى الاسلام والهداية .. لقد جاهد عليّ بالسّيف أوّلاً وثانيًا، ونشر العلوم، وتفسير القرآن، وإرشاد العرب إلى ما لم تكن فاهمة ولا متصوّرة .. لقد أنعم عليّ حتّى على الّذين تقدّموا عليه .. جاهد عنهم وهم قاعدون، وأمدّهم بعلومه الّتي لولاها لحكموا بغير الصّواب .. ».**

«**إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي**» الّذي أفرط وتجاوز الحدّ «**وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي**» الّذي فرّط وقصّر عن بلوغ الحقّ، وأهل الحقّ والعدل، وبهم يقاس تقصير هذا وتفريطه، وغلوّ ذاك وإفراطه. قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «**مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق**» [6].

«**وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلاَيَةِ**» بمعنى الرّياسة والسّلطة، لأنّ للكامل العادل ولاية على النّاقص بحكم العقل والواقع، وأهل البيت (عليهم السّلام) أفضل وأكمل خلق الله بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

«**وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ**» المراد وصيّة النّبيّ بالخلافة، وهم وحدهم لها وارثون «**الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ**» وهو الخلافة «**وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ**» أي عادت الخلافة إلى الموضع الّذي نقلت منه ظلمًا وعدوانًا.

الإمامة منصب إلهيّ

أوّل الخطبة الشّقشقيّة: قال)عليه السّلام» :**(أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلاَنٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلاَ يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ.**«

اللّغة

تَقَمَّصَهَا: يقال قمّصه قميصًا ألبسه فتقمّص هو.

الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى: الحديدة الّتي تدور عليها الرّحى.

الشّرح

في كلامه)عليه السّلام) تعريض على من تصدّى للإمامة وتقمّصها من غير حقّ، كما افتتح)عليه السّلام) خطبته الشّقشقيّة بقوله: ولقد تقمّصها فلان الخ، وفيه إشعار بأنّ الإمامة منصب إلهيّ هيّأ الله لها رجال أدّبهم بقدرته وإحاطته، وهذّبهم بالفطرة وطهّرهم تطهيرًا، لأنّ المقصود من الإمام في كلامه هذا هو الرّئيس الّذي يحكم في النّاس، فمن لم يكن مستعدًّا لهذا المقام لا يقدر على تعليم نفسه ورفع نقصه إلى أن ينال هذه الدّرجة القصوى والمرتبة العليا، وخصوصًا بالنّظر إلى مقام العلم الشّامل المحيط العميق الّذي يلزم لمنصب كهذا، فإذا كان الرّجل جاهلاً بذاته كيف يقدر على تعليم نفسه فإنّ العلم الكسبيّ يحصل إمّا بموهبة من الله فيفيضه على قلوب الأنبياء والأوصياء وإمّا بتحصيله من الأساتذة والعلماء، فكيف يقدر الإنسان على تعليم نفسه بشخصه نعم تأديب السّيرة وإصلاح الأخلاق والأعمال الّذي يعدّ من باب الحكمة العمليّة ممّا يمكن للإنسان أن يباشره بنفسه، فيحسّن أخلاقه بالرّياضة ويزيل عنه الأخلاق السّيّئة، ويخلّي ضميره عنها ويحلّيه بالأخلاق الحسنة والفضائل وأمّا العلم والمعرفة الخاصّة بمقام الإمامة فكيف يقدر عليه الإنسان بنفسه إذا لم يكن من عناية الله تعالى، ويؤيّد ذلك قوله: ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال، فإنّه تعريض بأنّ تصدّي غير الأهل للإمامة إنّما يكون لكسب الجاه والاعتبار عند النّاس وجلب الإجلال والاحترام، وإذا تصدّى شخص لتعليم نفسه وتأديبها يكون أحقُّ بالإجلال، اللّهمّ إلاّ أن يكون المراد من تعليم النّفس الاشتغال بالرّياضة وتصفية النّفس بحيث يستعدّ للافاضة كما أشير إليه في بعض الأحاديث ويشعر به قوله)عليه السّلام): العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء [7].

وجوب اتّباعه (عليه السّلام(

وقال)عليه السّلام» :(**مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ رَأَيْتُهُ**«

الشّرح

إشارة إلى بعض علل وجوب اتّباعه (عليه السّلام) بقوله: «مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ رَأَيْتُهُ» لأنّ من لم يشكّ في الحقّ أحقّ بالاتّباع ممّن كان في شكّ من دينه لاحتياجه إلى من يهديه، قال سبحانه: ﴿ **قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾ .

فدرك الحقّ واتّباعه تارة يكون بالتّقليد، وتارة بالدّليل القابل للتّشكيك وتارة بالوجدان والشّهود الّذي يعبّر عنه بالرّؤية والإبصار على نحو المجاز كقوله (عليه السّلام) في جواب من سأله هل رأيت ربّك؟ «كيف أعبد ربًّا لم أره» تشبيها للرّؤية الوجدانيّة والقلبيّة برؤية العين الجسمانيّة.

فالمقصود أنّي أدركت ولمست الحقّ بالوجدان والمشاهدة القلبيّة كأنّي رأيته ببصري ولا مجال للشّكّ في إيماني، هذا بيان للسّبب الموجب للزوم طاعته ووجوب متابعته، وعلم الإمام بالحلال والحرام يستحيل أن يتطرّق إليه الشّكّ لأنّه صورة طبق الأصل عمّا في علم الله تعالى، ومن هنا قال الإمام: لو كشف لي الغطاء ما ازددتُ يقينًا.

موقع الأمير)عليه السّلام(

وقال)عليه السّلام» :(**وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ)صلّى الله عليه وآله وسلّم) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ**.«

الشّرح

«**إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى**» ظاهر هذا الكلام يفيد أنّ الامام يسمع صوت الملك ويعاينه كالرّسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

أمّا سماع الصّوت فلا غبار عليه ويشهد به أخبار كثيرة.

وأمّا المعاينة فيدلّ عليه بعض الأخبار.

مثل ما في البحار من أمالي الشّيخ باسناده عن أبي حمزة قال: «**سمعت أبا عبد الله (عليه السّلام) يقول: إنّ منّا لمن ينكت في قلبه، وإنّ منّا لمن يؤتى في منامه، وإنّ منّا لمن يسمع الصّوت مثل صوت السّلسلة فى الطّشت، وإنّ منّا لمن يأتيه صورة أعظم من جبرئيل وميكائيل**» [8]. وقال أبو عبد الله (عليه السّلام): «**منّا من ينكت في قلبه، ومنّا من يخاطب**» [9].

ولكنّ الظّاهر من الأخبار الكثيرة أنّ الامام يسمع الصّوت ولا يعاين، ومن ذلك اضطرّ المحدّث العلاّمة المجلسيّ (رحمه الله) إلى تأويلها بقوله:

والمراد بالمعاينة معاينة روح القدس وهو ليس من الملائكة مع أنّه يحتمل أن يكون المعاينة في غير وقت المخاطبة [10]، انتهى.

ولمّا كان ظاهر قوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى موهمًا للمساواة بينه (عليه السّلام) وبينه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) استدرك ذلك بقوله «**إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ**» ونظير هذا الاستدراك قد وقع في كلام الصّادق (عليه السّلام) وهو: ما رواه في البحار من البصاير بسنده عن عليّ السّائيّ قال: سألت الصّادق (عليه السّلام) عن مبلغ علمهم، فقال: مبلغ علمنا ثلاثة وجوه: ماض، وغابر، وحادث، فأمّا الماضي فمفسّر، وأمّا الغابر فمزبور، وأمّا الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع وهو أفضل علمنا ولا نبيّ بعد نبيّنا.

فإنّ النّكث والنّقر لمّا كانا مظنّة لأن يتوهّم السّائل فيهم النّبوّة قال (عليه السّلام): ولا نبيّ بعد نبيّنا.

ثمّ إنّه لمّا نفى عنه النّبوّة أثبت له الوزارة وهي عاشر المناقب فقال: «**وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ**» بشّره بالوزارة ونبّه به على أنّه الصّالح لتدبير أمور الرّسالة والمعاون له (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في نظم أمور الدّين وتأسيس قواعد الشّرع المبين وإصلاح أمور الإسلام والمسلمين، ثمّ شهد به أنّه على خير وأشار به على استقراره وثباته على ما هو خير الدّنيا والآخرة، وأنّه مجانب لما هو شرّ الدّنيا والآخرة.

وهذا معنى عامّ متضمّن لكونه (عليه السّلام) جامعًا لجميع الكمالات والمكارم الدّنيويّة والأخرويّة والمحامد الصّوريّة والمعنويّة وكونه راسخًا فيها غير متزلزل ولا متكلّف [11].

ولاية أمركم

ومن خطبة له)عليه السّلام) خطبها بصِفّين» :**أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلاَيَةِ أَمْرِكُمْ**.«...

الشّرح

«**أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلاَيَةِ أَمْرِكُمْ** ...» جعل تعالى له (عليه السّلام) حقًّا عليهم بولايته أمرهم في الظّاهر، في قوله تعالى: ﴿ **أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [12]، وفي الباطن بعد رسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾ [13].

وقد استفاضت الأحاديث والرّوايات في كونه (عليه السّلام) هو المراد من قوله: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾، لنزول الآية لمّا أعطى (عليه السّلام) خاتمه في ركوع الصّلاة للسّائل كما رواه الثّعلبيّ وغيره [14].

وفي قول رسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) للنّاس في حجّة الوداع يوم خمّ في المتواتر عنه: ألست أوْلى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: بلى، فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه [15].

لا هدف للإمام (عليه السّلام) من الخلافة غير إحقاق الحق

قال الإمام عليّ)عليه السّلام» :(**أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلاَّ يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلاَ سَغَبِ مَظْلُومٍ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ**.«

اللّغة

فَلَقَ: الشّقّ، قال تعالى: ﴿ **فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى** ﴾ الأنعام / 95.

بَرَأَ: أي خلق، قيل: وقلّما يستعمل في غير الإنسان.

النَّسَمَةَ: محرّكة الإنسان أو النّفس والرّوح، وقد يستعمل فيما عدا الإنسان.

يُقَارُّوا: قارّه مقارّة قرّ معه، وقيل: إقرار كلّ واحد صاحبه على الأمر وتراضيهما به.

كِظَّةِ: ما يعتري الآكل من الضّيق عند امتلاء البطن بالطّعام. والمراد هنا تعدّي الظّالم على حقوق النّاس.

سَغَبِ:: شدّة الجوع، والمراد هنا هضم حقوق الضّعيف.

غَارِبِهَا: أعلى كتف النّاقة، كاهل النّاقة حين يتركها قائدها فلا يقودها يرخي لها الخطام، فالكلام تصوير للتّرك وإرسال الأمر.

أَزْهَدَ: خلاف الرّغبة والزّهيد القليل.

عَفْطَةِ: قال ابن الأثير: الضّرطة، وقال الشّارح المعتزليّ: عفطة عنز ما تنثره من أنفها وأكثر ما يستعمل ذلك في النّعجة.

الشّرح

»أَ**مَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ** «أي شقّها وأخرج النّبات منها بقدرته الكاملة» **وَبَرَأَ النَّسَمَةَ**«أي خلق الإنسان وأنشأه بحكمته التّامّة الجامعة» **لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ**» للبيعة من الأنصار والمهاجرين أو حضور الوقت الّذي وقّته رسول الله)صلّى الله عليه وآله وسلّم) لقيامه بالنّواهي والأوامر» **وَقِيَامُ الْحُجَّةِ** «عليه)عليه السّلام (»**بِوُجُودِ النَّاصِرِ** «والمعين» **وَ** «لولا» **مَا أَخَذَه**» «**اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ** «أي الأئمّة)عليهم السّلام) أو الأعمّ» **أَلاَّ يُقَارُّوا** «ولا يتراضوا ولا يسكنوا» **عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ** «بطنته» **وَلاَ سَغَبِ مَظْلُومٍ** «جوعه وتعبه، والكظّة كناية عن قوّة ظلم الظّالم والسّغب كناية عن شدّة مظلوميّة المظلوم والمقصود أنّه لولا أخذ الله على أئمّة العدل وعهده عليهم عدم جواز سكوتهم على المنكرات عند التّمكّن والقدرة» **لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا** «أي زمام الخلافة» **عَلَى غَارِبِهَا** «شبّه الخلافة بالنّاقة الّتي يتركها راعيها لترعى حيث تشاء ولا يبالي من يأخذها وما يصيبها، وذكر الغارب وهو ما بين السّنام والعنق تخييل وإلقاء الحبل ترشيح» **وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا** «أي تركتها آخرًا كما تركتها أوّلاً وخلّيت النّاس يشربون من كأس الحيرة والجهالة ويعمهون في سكرتهم كما شربوا في زمن غيره

»**وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ** «الّتي رغبتم فيها وتمكّن حبّها في قلوبكم» **أَزْهَدَ عِنْدِي** «وأهون» **مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ** «أي ضرطتها أو عطستها.

قيام الحقّ ودفع الباطل

ومن خطبة له (عليه السّلام) عند خروجه لقتال أهل البصرة:

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السّلام) بِذِي قَارٍ وَهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ فَقَالَ لِي: «**مَا قِيمَةُ هَذِهِ النَّعْلِ؟**» فَقُلْتُ: لاَ قِيمَةَ لَهَا، فَقَالَ (عليه السّلام): «**وَاللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلاَّ أَنْ أُقِيمَ حَقّاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً**».

اللّغة

يَخْصِفُ نَعْلَهُ :يخرزها.

الشّرح

نعم لو كان متمكّنًا من الخلافة وإقامة مراسمها على ما هو حقّها لرغب فيه البتّة لكنّه لم يتمكّن منها لعدم وجود النّاصر كما يؤمىء إليه قوله)عليه السّلام) في الخطبة الثّالثة المعروفة بالشّقشقيّة :وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخيّة عمياء، وقوله في الخطبة السّادسة والعشرين :فنظرت فإذا ليس لي معين إلاّ أهل بيتي فضننت بهم عن الموت ...، وغير ذلك ممّا تضمّن هذا المعنى.

عدم المنافسة على السّلطة

قال (عليه السّلام» :(**اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَلاَ الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلاَحَ فِي بِلاَدِكَ فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ.**«

اللّغة

الْحُطَامِ: ما يحطم ويتفتّت من عيدان الزّرع إذا يبس. والمراد هنا: متاع الحياة الدّنيا.

الْمَعَالِمَ: جمع معلم – بفتح فسكون – وهو الأثر الّذي يستدلّ به على الطّريق.

الشّرح

نبّه على براءة ساحته وتزكية نفسه في أمر الخلافة فقال» **:اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ** «وقع **»مِنَّا** «وهو الرّغبة في الخلافة أو الحروب أو الجميع» **مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ** «وحرصًا عليه» **وَلاَ الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ** «أي طلبًا لشيء من زخارف الدّنيا وزينتها السّاقطة عن درجة الاعتبار الغير المحتاج إليها» **وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ** «أي الآثار الّتي يهتدى بها فيه» **وَنُظْهِرَ الْإِصْلاَحَ فِي بِلاَدِكَ** « ونرفع الفساد عنها» **فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ** «ولا يخفى ما في هذه الجمل من التّعريض على المتقدّمين المنتحلين للخلافة والإشارة إلى أنّ طلبهم لها إنّما كان تنافسًا في الملك والسّلطنة، ورغبة في القنيّات الدّنيويّة، وإلى أنّ أنوار الدّين في زمانهم قد انطمست، وآثار الشّرع المبين قد اندرست، وأنّه شاع الفساد في البلاد وغلب الجور والظّلم على العباد وتعطّل الحدود والأحكام وتغيّر الحلال والحرام.

خَيْرُ الْعِتَرِ

قال الإمام)عليه السّلام» **:(عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وَثَمَرَةٌ لاَ تُنَالُ، فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَى، وَبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى.**«

الشّرح

«**عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ**» عترة الرّجل: نسله ورهطه الأدنون، روى أبو سعيد الخدريّ عن النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: إنّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي تارك فيكم الثّقلَيْن كتاب الله عزّ وجلّ حبل ممدود بين السّماء والأرض وعترتي أهل بيتي، وأخبرني اللّطيف أنّهما لن يفترقا حتّى يَردا عليّ الحوض [16].
«**وَأُسْرَتُهُ**» وهم بنو هاشم «**خَيْرُ الْأُسَرِ**» فكانت بنو هاشم أفضل طوائف قريش «**وَشَجَرَتُهُ**» وهم قريش «**خَيْرُ الشَّجَرِ**» فكانت قريش أفضل طوائف العرب «**نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ**» أي: عزّ ومنعة.

«**وَبَسَقَتْ**» أي: عَلَتْ «**فِي كَرَمٍ**» وشرف «**لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ**» قال تعالى له: ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)** ﴾. «**وَثَمَرَةٌ لاَ تُنَالُ**» هكذا في (المصريّة) والصّواب: **(وثمر لا**

ينال) [17]، إنّ شرف الشّجر بعلوّه حتّى لا ينهب ثمره كلّ من مرّ عليه، والمراد أنّ علوم النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وكمالاته ليست عاديّة متعارفة حتّى يدّعي نيابته كلّ أحد، وغرضه (عليه السّلام) التّعريض بالمتقدّمين عليه بكونهم غير مؤهّلين لتصدّي مقامه (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، لأنّ النّائب كالمنوب عنه بقضيّة العقول، وأين هم من النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

شَجَرَةُ اَلنُّبُوَّةِ

وقال)عليه السّلام» :(**نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلاَئِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ، نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ.**«

اللّغة

السَّطْوَةَ :القهر والذّلّة.

الشّرح

«**وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ**» ودليلنا سَمْتُ الهدى، ولباس التّقوى وهو (عليه السّلام) وإن لم يكن نبيًّا إلاّ أنّه لمّا كان بمنزلة نفس النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حيث قال تعالى: ﴿ ... **وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ** ... ﴾ مريدًا لهم [18].

وقال النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يوم أحد لجبرئيل بعد تعجّبه من مواساته له: ما يمنعه من مواساتي وهو منّي وأنا منه؟ فقال جبرئيل (عليه السّلام): وأنا منكما [19].

وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أنا وعليّ من شجرة واحدة، وسائر النّاس من شجر شتّى [20].

«**وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ**» بسيّد المرسلين، وخاتم النّبيّين «**وَمُخْتَلَفُ الْمَلاَئِكَةِ**» محلّ نزولهم بالوحي «**وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ**» عن النّبيّ عن جبريل عن الله «**وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ**» وهذا نهج البلاغة قطرة من تلك الينابيع «**نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ**» من الله بشهادة الرّسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «**يا عليّ لا يبغضك مؤمن**» فكيف إذا أحبّك وناصرك؟ «**وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ**» من الله.. أيضًا بشهادة النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «**لا يحبّك منافق**» فكيف إذا عاداك وأبغضك وقال الإمام: «**لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدّنيا بجمّاتها على المنافق على أن يحبّني ما أحبّني**».

والسرّ أنّ عداوة الباطل للحقّ ذاتيّة، وما بالذّات لا يتغيّر إلاّ إذا كان التّغيّر ذاتًا للشّيء وطبيعة، ولا ينطبق على هذا ما ليس بمادّة وطبيعة.

أئمّة الدّين

وقال)عليه السّلام)عن أئمّة الدّين» :**وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِلاَّ مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ.**«

الشّرح

«**وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ**» واضح أنّ مراده (عليه السّلام) بالأئمّة: أئمّة أهل البيت (عليهم السّلام) لا المتقدّمون عليه، قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ...** ﴾ [21]، ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُواْ السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ...** ﴾ [22]، «**وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ**» قال النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لأمير المؤمنين (عليه السّلام): ثلاثة أقسم أنّهنّ حقّ: إنّك والأوصياء من بعدك عرفاء لا يُعْرَف الله إلاّ بسبيل معرفتكم، وعرفاء لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفكم وعرفتموه، وعرفاء لا يدخل النّار إلاّ من أنكركم وأنكرتموه [23].

وروى عيون ابن بابويه عن ابن المتوكّل عن الأسديّ عن الصّوليّ عن يوسف بن عقيل عن إسحاق بن راهويه، قال: لمّا وافى أبو الحسن الرّضا نيسابور، وأراد أن يخرج منها إلى المأمون، اجتمع عليه أصحاب الحديث، فقالوا له: يا بن رسول الله ترحل عنّا ولا تحدّثنا بحديث فنستفيده منك؟ إلى أن قال بعد ذكر روايته (عليه السّلام) لهم عن آبائه عن النّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عن الله تعالى قال: «**لا إله إلاّ الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي**» فلمّا مرّت الرّاحلة نادى: **بشروطها، وأنا من شروطها** [24].

«**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِلاَّ مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ**» وكيف لا يكون كما قال (عليه السّلام) من عدم دخول الجنّة إلاّ من عرفهم بعد عدم قبول عبادة إلاّ بولايتهم، وعدم صحّة صلاة إلاّ بالصّلاة عليهم.

الثّناء على أهل البيت)عليهم السّلام(

وقال (عليه السّلام) يذكر آل محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم):

«هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ، لاَ يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، هُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلاَمِ وَوَلاَئِجُ الاعْتِصَامِ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ فِي نِصَابِهِ، وَانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ، عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ».

اللّغة

عَيْشُ الْعِلْمِ: حياته.

دَعَائِمُ: جمع الدّعامة بكسر الدّال وهي عماد البيت يقال دعم الشّيء دعمًا من باب منع إذا أسنده عند ميله أو لئلاّ يميل.

الاعْتِصَامِ: التّمسّك. قال الله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾ أي تمسّكوا به.

وَلاَئِجُ: جمع وليجة، وهي الموضع الّذي يعتصم به، وهي بطانة الرّجل وخاصّته وصاحب سرّه الّذي يتّخذه معتمدًا عليه من غير أهله يكاشفه بأسراره ثقة بمودّته، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً** ﴾.

نِصَابِهِ: نصاب الشّيء: أصله وحدّه ومرجعه ومستقرّه.

انْزَاحَ: من الزّوح أي زال وذهب.

وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ: المراد به هنا انقطاع الحجّة.

عَقْلَ وِعَايَةٍ: حفظ في فهم.

وَرِعَايَةٍ: دعم الدّين ودفع الشّبهات عنه بمنطق العقل والبديهة.

الشّرح

«هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ، لاَ يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ» ضمير «**هم**» لأهل البيت (عليهم السّلام)، وهذا ثناء عليهم

وهناك العديد من الخطب الّتي تغدق الثّناء على أهل البيت (عليهم السّلام)، والصّفات الّتي ذكرها الإمام هنا هي تكرار لما جاء في آخر الخطبة 145. «**هُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلاَمِ**» أي قوّته وسلاحه، وحجّته ولسانه، فولاؤهم والإخلاص لهم ولاء وإخلاص للإسلام بالذّات، ومن هنا قال الرّسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «**من صلّى صلاة لم يصلّ فيها عليّ، ولا على أهل بيتي لم تقبل منه**» [25].

واذا عطفنا هذا الحديث على حديث «**الصّلاة عمود الدّين**» كانت النّتيجة أنّ الصّلاة على أهل البيت (عليهم السّلام) عمود الدّين. اللّهم صلّ على محمد وآل محمّد وسلّم.

وفي «**الصّواعق المحرقة**» لابن حِجْر وغيرها أنّ الشّافعيّ قال:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم *** فرضٌ من الله في القرآن أنزله**

كفاكم من عظيم الفخر أنّكم *** من لا يصلّي عليكم لا صلاة له**

«**وَوَلاَئِجُ الاِعْتِصَامِ**» لمن أراد معرفة الإسلام على حقيقته أصولاً وفروعًا «**بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ فِي نِصَابِهِ**» أي اذا تولّوا الشّؤون العامّة يصان لكلّ ذي حقّ حقّه، ويجوز أن يكون المراد بالحقّ هنا الدّين، وأنّ أهل البيت (عليهم السّلام) يأخذونه من منبعه ومصدره لا من الشّيوخ والرّواة. وهذا المعنى أقرب إلى السّياق، وأنسب بقول الإمام (عليه السّلام) «**وَانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ**» ويرحل الباطل وينحسر عن المجتمع المتنوّر بنور الولاية.

«**عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ**» فهموه وعملوا به وأرشدوا إليه كما هو عند الله «**فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ**» تمامًا كعمائم الفاشلين المرتزقة في عصرنا.. كذب وتزوير، وتكوير بلا تفكير [26].

عصمة أهل البيت (عليهم السّلام(

وقال)عليه السّلام» :(**انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا وَلاَ تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا وَلاَ تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا.**«

الشّرح

هذا من الأقوال الواردة في نهج البلاغة، والمنتشرة هنا وهناك، الدّالّة على عصمته (عليه السّلام) وعصمة أهل بيته الكرام (عليهم السّلام).

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِيِّ، وَعَلَى آلِهِ مَصَابِيحِ الدُّجَى وَالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

فهرس المصادر

1 – القرآن الكريم.

2 – نهج البلاغة: الشّريف الرّضيّ (المتوفّى 406 هـ).

3 – الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: للشّيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النّعمان (ت 413 هـ)، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت (عليهم السّلام) لإحياء التّراث، بيروت 1416هـ.

4– بحارالأنوار: محمّد باقر المجلسيّ، طهران، ج110 (المتوفّى 1111 هـ).

5– الخصال: لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ المعروف بالشّيخ الصّدوق (ت 381هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، مؤسّسة الأعلميّ – بيروت، الطّبعة الأولى 1410هـ.

6– جامع الأخبار أو معارج اليقين في أصول الدّين: لمحمّد بن محمّد الشّعيريّ السّبزواريّ (القرن السّابع هـ.) تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت: – قمّ، الطّبعة الأولى 1414 هـ.

8– مجمع البيان في تفسير القرآن: للشّيخ أبو علي الطّبرسيّ . دار المعرفة . بيروت.

9– الأمالي: للشّيخ الصّدوق (المتوفّى 381 هـ)، الطّبعة الخامسة عام 1400 هـ مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات.

10– الكافي: هذا الكتاب القيّم من مؤلّفات محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ الرّازي، الملقّب بـ «ثقة الإسلام» (المتوفّي 329 هـ)، وللكلينيّ مقام شامخ عند الشّيعة، من حيث الدّقّة العلميّة، وضبط الأحاديث، والوثاقة أيضًا، وقد أثنى عليه النّجاشيّ بقوله: «شيخ أصحابنا في وقته بالرّيّ ووجههم، وكان أوثق النّاس في الحديث وأثبتهم». وأطرى الشّيخ المفيد كتاب «الكافي»، بقوله: «أجلّ كتب الشّيعة وأكثرها فائدة». وقال

المحقّق الكركيّ: لم يُعمل مثل «الكافي». وكتب الشّهيد الأوّل: «لم يُعمل في الإماميّة مثله». وعلى هذا الأساس، فقد نال الكتاب ومؤلّفه مقامًا ساميًا، وقد استغرق في تأليفه مدّة عشرين سنة، تحمّل فيها المشقّة والعناء. وهو بمثابة دائرة معارف إسلاميّة، ويشتمل على ثلاثة أقسام رئيسيّة: الأصول، الفروع، والرّوضة.

11- وسائل الشّيعة: وهو من تأليف محمّد بن الحسن الحرّ العامليّ (المتوفّى 1104 هـ) جمع فيه الرّوايات الفقهيّة فقط، وقد بلغ مجموعها (35868) رواية. نقلها المؤلّف، فضلاً عن الكتب الأربعة، من كتب حديثيّة أخرى, وقد طبع مرّات عديدة، كان آخرها طبعة مؤسّسة آل البيت (عليهم السّلام) في (30) مجلّدًا مع التّحقيق.

12- منهاج البراعة: للسّيّد حبيب الله الخوئيّ (المتوفّى 1324 هـ)، من تلامذة الميرزا حبيب الله الرّشتيّ، والميرزا الشّيرازيّ. ولم يُكمل المؤلّف شرحه هذا، حيث وصل فيه إلى الخطبة 218. طبع مرّة عام 1315 هـ في سبعة أجزاء، وأخرى عام 1377 هـ في (14) جزءًا, وقد أضاف إليه العلامّة حسن زاده الآمليّ ستّة أجزاء أخرى، ومحمّد باقر الكمرئيّ جزءًا واحدًا، فتمّ الكتاب في (21) جزءًا، وأصبح شرحًا كاملاً لنهج البلاغة، وطُبع هذا الشّرح المؤلّف من (21) جزءًا كرارًا.

13- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدّين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الرّاونديّ (المتوفّى 573 هـ).

14- الأمالي، للشّيخ المفيد (المتوفّى 413 هـ)، يتضمّن مباحث أخلاقيّة وسنن متنوّعة، ورُتّب في (42) مجلسًا تُعرف بمجالس المفيد. حقّقه علي أكبر الغفّاريّ، وتولّت نشره المنشورات الإسلاميّة ونقله إلى الفارسيّة حسين استاد ولي، وتصدّى لطبعه مجمع البحوث الإسلاميّة في مشهد.

15- بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة: للعلاّمة محمّد تقي الشّوشتريّ (1320 هـ . 1415 هـ) يتألّف من (14) جزءًا، وهو شرح وفق المنهج الموضوعيّ.

16- من لا يحضره الفقيه: للشّيخ الصّدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّيّ (306 هـ . 381 هـ)، محدّث، فقيه، كثير التّصنيف، متتبّع، حرّر طيلة عمره (75 عامًا) ما يقرب من (300) كتابًا, قال صاحب الزّمان (عج) في حقّه: «فقيه، خيّر، مبارك، ينفع الله به» وكان يقول مفتخرًا: «أنا وُلدت بدعوة صاحب الأمر (عليه السّلام)», ألّف العديد من الكتب الرّوائيّة، أبرزها وأشهرها «من لا يحضره

الفقيه»، وهو على غرار «من لا يحضره الطّبيب» للرّازي، ألّفه في سنّ (62) عامًا، وهو الكتاب السّادس والأربعون بعد المائتَيْن في قائمة تأليفاته.

17- علل الشّرائع: محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّيّ، المعروف بـ «الشّيخ الصّدوق»، (المتوفّى 381 هـ) دار إحياء التّراث – بيروت، الطّبعة الأولى 1408 هـ.

18- نهاية الأحكام في معرفة الإحكام، للعلاّمة الحلّيّ، ط 1، دار الأضواء، بيروت، 1406 هـ.

19- شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن محمّد بن محمّد بن أبي الحديد المعتزليّ (المتوفّى 656 هـ)، دار احياء التّراث العربيّ، 4 أجزاء.

20- شرح نهج البلاغة: كمال الدّين ميثم بن عليّ بن ميثم البحرانيّ (المتوفّى 699 هـ) يعدّ المؤلّف من فلاسفة الإماميّة ومتكلّميهم، ومن هنا نجد أنّ شرحه مشحون بموضوعات كلاميّة وفلسفيّة, وله ثلاثة شروح على «نهج البلاغة»: الكبير، المتوسّط، والصّغير، وقد جُمعت في شرح كبير، طبع مرّة عام (1276 هـ) في مجلّد واحد بطهران، وأخرى عام (1362 هـ) في خمسة مجلّدات من قبل مكتب التّبليغات الإسلاميّ في قمّ.

21- مستدرك الوسائل: وهو من تأليف الميرزا حسين النّوري (المتوفّى 1320 هـ) وهو في الواقع تكلمة لكتاب «وسائل الشّيعة»، واستدراك لما فات الحرّ العامليّ من كتب حديثيّة لم تصل إليه, ويحتوي الكتاب على (23129) حديثًا، وخُتم . تبعًا للحرّ العامليّ – بفوائد تناول فيها المصادر والمآخذ، وتتمّة لنظرات صاحب الوسائل.

22- جواهر الكلام: للشّيخ محمّد حسن النّجفيّ . ط3 . 1367ش . دار الكتب الإسلاميّة.

23- في ظلال نهج البلاغة: محمّد جواد مغنيّة (المتوفّى 1400 هـ).

24- شرح نهج البلاغة: السّيّد محمّد كاظم الموسويّ القزوينيّ طبع منه جزآن في بيروت بين الأعوام 1378 و 1385 هـ.

25- نهج البلاغة: ترجمة، محمّد علي الأنصاريّ.

26- عيون الأخبار، للشّيخ الصّدوق (المتوفّى 381 هـ).

27- التّهذيب: تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، لأبي جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشّيخ الطّوسيّ (ت 460 هـ)، دارالتّعارف . بيروت، الطّبعة الأولى 1410 هـ.

28- مفاتيح الجنان: للشّيخ عبّاس القمّيّ رحمه الله (ت 1359 هـ)، نشر أُسوة التّابعة لإدارة الحجّ والأوقاف الدّينيّة، مطبعة الهادي . قمّ.

29- شرح نهج البلاغة: للسّيّد محمّد كاظم القزوينيّ (الحائريّ) تمّ طبعه في 20 صفر عام 1381 من الهجرة في مطبعة عمر منيمنة في بيروت لبنان وكربلاء المشرّفة العراق في 25 ذي الحجّة 1380هـ.

30- الأنوار البهيّة في تواريخ الحجج الألهيّة: للشّيخ عبّاس القمّيّ، (ت 1359 هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التّابعة لجماعة المدرّسين - قمّ المشرّفة - الطّبعة الأولى، 1417 هـ.

31- المستدرك على الصّحيحَيْن: محمّد بن عبد الله المعروف بـ « الحاكم النّيسابوريّ»، (المتوفّى 405 هـ) دار الكتب العلميّة / بيروت، 2002 م.

32- الثّعلبيّ في مناقبه: أحمد بن محمّد الثّعلبيّ، المتوفّى سنة 427 هـ.

33- كمال الدّين: للشّيخ الصّدوق (المتوفّى 381 هـ)، بيروت، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، 1412 هـ . 1991 م.

34- تاريخ الطّبريّ المعروف بـ: (تأريخ الأُمم والملوك): محمّد بن جرير الطّبريّ، تحقيق نخبة من العلماء، مؤسّسة الأعلميّ / بيروت.

35- التّفضيل: لمحمّد بن عليّ بن عثمان الكراجكيّ أبو الفتح (المتوفّى رحمه الله عام 449 هـ).

36- ترجمة الإمام عليّ (عليه السّلام) من تاريخ دمشق: لابن عساكر الشّافعيّ، المتوفّى سنة 571 هـ.، مؤسّسة المحموديّ للطّباعة والنّشر، بيروت الطّبعة الثّانية، سنة 1398 هـ.

37- سنن الدّارقطنيّ، لأبي الحسن عليّ بن عمر البغداديّ المعروف بالدّارقطنيّ (ت 528 هـ)، تحقيق: أبو الطّيّب محمّد آباديّ، عالم الكتب . بيروت، الطّبعة الرّابعة 1406 هـ.

---

[1] سورة المائدة، الآية: 67.

[2] سورة المائدة، الآية: 3.

[3] سورة المائدة، الآية: 55.

[4] الأنوار البهيّة: ص281.

[5] الكافي: ج1، ص192، ح1.

[6] مستدرك الصّحيحَيْن: ج2 ص343، طبعة حيدر آباد سنة 1324هـ.

[7] منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج21، ص109.

[8] بحار الأنوار: ج26، ص19.

[9] منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج12، ص44.

[10] بحار الأنوار: ج26، ص19.

[11] منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج12، ص45.

[12] سورة النّساء، الآية: 59.

[13] سورة المائدة، الآية: 55.

[14] الثّعلبيّ في مناقبه:ج3، ص52.

[15] بحار الأنوار: ج69، ص145.

[16] الصّدوق بخمس طرق في كمال الدّين: 235 240 ح 46، 48، 50، 57، 61.

[17] كذا في شرح ابن أبي الحديد 2: 180، لكن في شرح ابن ميثم 2: 395 «تتال» أيضًا.

[18] سورة آل عمران، الآية: 61.

[19] تاريخ الطّبريّ 2: 197 سنة 3، والكافي 8: 110 ح 90، والتّفضيل للكراجكيّ: 36 وغيرهم.

[20] أخرجه ابن عساكر بطرق في ترجمة عليّ (عليه السّلام) 1: 142 147 ح 178 181.

[21] سورة الزّمر، الآية: 9.

[22] سورة الجاثية، الآية: 21.

[23] الخصال للصّدوق: 183 ح 150 باب الثّلاثة.

[24] عيون الأخبار للصّدوق 2: 134 ح 4.

[25] رواه الدّارقطنيّ في سننه ص 136 مطبعة الأنصاريّ بدلهي عاصمة الهند عن فضائل الخمسة.

[26] في ظلال نهج البلاغة: ج3، ص367.